الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية –

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

أفعال الكلام في سورة مريم

-دراسة تداولية-

مذكرة تخرج لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص علوم اللّسان

إعداد الطالبتين:

حدادي صباح

بوعنداس سوسن

إشراف الأستاذة:

بن زرافة نورة

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقه

إلى أبي أدامه الله لي

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى أمي أدامها الله لي

إلى من علّمني الصبر وأعطاني الحب

إلى زوجي حكيم

إلى إخوتي رزيقة نجاة رياض إسلام

صباح

الإهداء

إلى الشمعة التي أضاءت طريقي

إلى أمي أدامها الله لي

إلى من ضحى بوقته وراحته من أجلي

إلى أبي أدامه الله لي

إلى من تعلمت على يده أصول الحب

إلى خطيبي سفيان

إلى أخواتي ابتسام حسيبة سعيدة وأخي الوحيد نعيم

سوسن

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله عز وجل الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر لكل من قدم لنا يد العون والمساعدة لانجاز هذا العمل البسيط بداية بالأستاذة الكريمة " بن زرافة" التي أشرفت علينا طوال السنة ولم تبخل علينا شيئا من وقتها

وشكرا لمن كان عونا ومشجعا لنا أثناء دروب سنوات دراستنا خاصة أساتذة قسم اللّغة والأدب العربي والمكتبة المركزية.

مقدمة

تعدّ اللغة الوسيلة الأساسية لتواصل الإنسان مع غيره، إذ يستعملها في محاوراته ومناقشاته، لذلك عُنيت بالدراسة والاهتمام من طرف العديد من التخصصات كعلم النفس وعلم الاجتماع، والبنيوية، وهذه الأخيرة تنظر إلى اللغة على أنّها بنية مغلقة، فقد شهد العقد السابع من القرن العشرين منعرجا جديدا في الفكر اللغوي الحديث والمتمثل في التداولية التي ظهرت على يد أوستين وطوّرها تلميذه سيرل، وقد جاءت كردّ على البنيوية التي أهملت المعنى عامة والكلام خاصة دي سوسير، والتركيز على الكفاءة وإهمال الأداء (تشومسكي) وهي بدورها أعادت الاعتبار للكلام والأداء من خلال دراسة اللغة في علاقتها مع مستعمليها، إضافة إلى كيفية فهم النّاس بعضهم البعض، وتنطلق التداولية من قاعدة أساسية هي "أنّنا عندما نتلفظ بقول فإنّنا ننجز فعلا كلاميا في الواقع"، فهذا الاتجاه قد أتاح للمستمع الكشف عن مقاصد المتكلم في مختلف المقامات.

وبالرغم ممّا حققته التداولية من نجاحات في البحث اللساني الحديث، إلّا أنّه لا يمكن إنكار أنّ البحثفي هذا التخصص كان منذ القدم، وبالتحديد عند العرب الذين تطرقوا إليه في نظرية الخبر والإنشاء، والجدير بالذكر فإنّ العلماء العرب لم يستعملوا مصطلح التداولية إلّا أنّهم تطرقوا إلى مختلف مجالاتهاكالمقصد المتكلم، والاستعمال اللغوي في مختلف السياقات.

وتتكئ التداولية في دراستها للغة على خمسة محاور وهي: (الإشارة، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والحجاج، وأفعال الكلام)، ويعدّ هذا الأخير مبحثا أساسيا من مباحثها،

وخير ما يجسد هذا المبحث نجد القرآن الكريم، الذي جاء لإرشاد ونصح النّاس وإقناعهم بالتخلي عن الشرك بالله، وذلك بالاعتماد على عنصر التبليغ للتأثير على المتلقي.

ولهذا فقد اخترنا أن يكون موضوع بحثنا المعنون بـ " أفعال الكلام في سورة مريم (دراسة تداولية)، وسنحاول في بحثنا هذا الإجابة على الإشكالية المحورية والتي تتمثل في: كيف يتجسد الفعل الكلامي في القرآن الكريم، وبالتحديد في سورة مريم؟، وتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة من الأسئلة وهي كالتالي:

- ما مفهوم التداولية؟ وما هي أهم محاورها؟
- كيف يتجسد الفعل الكلامي في نظرية الخبر والإنشاء عند العرب؟
- كيف يتجسد الفعل الكلامي في القرآن الكريم، وبالتحديد سورة مريم؟
- هل للأفعال الإنجازية دور في فهم الخطاب القرآني؟
- كيف ترد الآيات القرآنية بأسلوب ما ونفهم شيئا أخر؟

وأمّا فيما يخص سبب اختيارنا لهذا الموضوع فهناك أسباب ذاتية وموضوعية، فالذاتية تتمثل في حبنا للقرآن لأنّه كلام الله المقدس، أمّا الموضوعية فتتمثل في رغبتنا في الكشف عن الملامح التداولية في القرآن الكريم، ومعرفة مقاصده، والسبب الأخر الذي يدفعنا للدخول في أغمار هذا الموضوع هو قلة الدراسات في مجال البحث التداولي، وهذا ما جعلنا نستقصيه لإثراء رصيدنا المعرفي.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لهذه الدراسة العلمية والذي يساعدنا على وصف العينة وتفسيرها.

وتكمن أهمية هذا البحث في استعمال الأفعال الكلامية داخل القرآن الكريم وفق تصنيفات سيرل، من خلال الكشف عن أغراضها التداولية.

وقبل الدخول إلى إيراد تفصيل الخطة، حبذا أن نشير إلى بعض الدراسات السابقة الخاصة بأفعال الكلام في الخطاب القرآني التي لها صلة بالتداولية: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني –سورة البقرة أنموذجا– لـ "عيسى تومي" (مذكرة ماجستير)، الأفعال الكلامية في سورة الكهف –دراسة تداولية– لـ "أمينة لعور" (مذكرة ماجستير)، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية لـ "محمد مدور" (أطروحة الدكتوراه).

ولقد قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة:

ففي الفصل الأول اخترنا أن يكون عنوانه "التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى ومحاورها"، وهو بدوره قسمناه إلى مبحثين، الأول تطرقنا فيه إلى مفهوم التداولية لغة واصطلاحا، إضافة إلى علاقتها بالعلوم الأخرى، أمّا الثاني فقد عرضنا فيه أهم محاور التداولية فتطرقنا إلى (الإشارية، الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الحجاج، وأفعال الكلام).

في حين ارتأينا أن يكون الفصل الثاني بعنوان " نظرية الأفعال الكلامية" حيث جاء هو أيضا في مبحثين:

فالمبحث الأول عنوانه: نظرية أفعال الكلام عند الغرب، وقد ركزنا على إسهامات (أوستين وسيرل)، أمّا المبحث الثاني فعنوانه: نظرية أفعال الكلام عند العرب، حيث تناولنا فيه نظرية الخبر والإنشاء.

أمّا الفصل الثالث فهو دراسة تطبيقية يحمل عنوان " دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة مريم"، حيث تطرقنا فيه أولا إلى التعريف بالسورة وتبيان أهم أغراضها وأهم القصص الواردة فيها، وثانيا قد قمنا باستخراج الأفعال الكلامية في السورة وفق تقسيمات سيرل.

واختتمنا بحثنا بخاتمة نرصد فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على عدّة مصادر ومراجع أهمها: مفتاح العلوم للسكاكي الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، أساس البلاغة للزمخشري، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة، التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، وأمّا عن كتب التفسير فركزنا على: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، في ظلال القرآن لسيد قطب، تفسير المراغي لمصطفى المراغي.

ورغم المجهودات التي بذلناها لإنجاز هذا البحث، إلّا أنّه قد واجهتنا بعض الصعوبات من بينها: ضيق الوقت، وصعوبة الموضوع في حدّ ذاته بالنسبة إلينا، وتعرض إحدانا لأزمة صحية، وفي نهاية المطاف تصدينا لهذه الصعوبات بالعزم والإرادة.

وفي الأخير نحمد الله تعالى الذي وفقنا في عملنا، فإن أصبنا فبتوفيق من الله، وإن أخطأنا فحسبنا أنّنا اجتهدنا.

يوم 04 جوان2017

صباح

سوسن

الفصل الأوّل

التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى ومحاورها

المبحث الأول:

التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

المبحث الثاني:

محاور التداولية.

تمهيد:

شهدت الدراسات اللسانية الحديثة تحولا كبيرا مسّ إطارها المفاهيمي، إذ كانت في الوهلة الأولى تركّز على البنية اللغوية أو بالأحرى البنية المغلقة للغة وفق مستوياتها الأربعة (الصوتي،الصرفي، النحوي والدلالي)، وهذا ما يظهر جليا في قول دي سوسير (**De Saussure**): «الهدف الحقيقي الوحيد لعلم اللغة هو أن اللغة تدرس في ذاتها ولأجل ذاتها»[1].

وبقيت هذه النظرة سائرة المفعول إلى أن ظهر مصطلح جديد قلب موازين اللسانيات العامة واللسانيات التوليدية التحويلية، والذي يحمل في طياته نظرة خاصة للغة ألا وهو التداولية. فما مفهومها؟ وما الجديد الذي أتت به؟

1- مفهوم التداولية:

1-1 - لغة:

وردت مادة "دول" في عدّة معاجم لغوية وقد جاء في لسان العرب **لابنمنظور**«تداولنا الأمر، أخذناه بالدّول وقالوا دواليك أي المداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا...ودواليك من تداولوا أي تداولوا الأمر بينهم بأخذ هذا دولة وهذا دولة»[2]، أمّا **الزمخشري** فقد عرفه بقوله:« دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدل الله بني فلان

[1]- فرديناند دي سوسور، علم اللغة العام، تر: الدكتور يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، د ط، 1985، ص 253.
[2]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، المجلد 11، 1994، ص252، 253.

من عدوّهم، جعل الكرّة لهم عليه...واستدلت من فلان لأدال منه...واللّه يداول الأيام بين النّاس مرة لهم ومرة عليهم وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما»[1].

1-2- اصطلاحا:

لقد اختلف علماء اللغة في تعريف التداولية نظرا لاتساع مجالها المعارفي الذي يتشابك بالعديد من العلوم مما أدى إلى صعوبة وضع تعريف خاص بها يلم بآفاقها وانشغالاتها[2]، والاختلاف لم يقتصر فقط على المفهوم وإنما مس أيضا كيفية تسميته وترجمته لهذا نجد عدة تسميات تدور في فلك التداولية نذكر منها:(البراغماتية، علم التخاطب النفعية، القصدية، التداولية، علم استعمال اللغة...الخ)، لكن المصطلح الذي لاق استحسانا عند الدارسين اللغويين العرب هو التداولية[3]، إذ تقوم هذه الأخيرة بدراسة المعنى وذلك من خلال الكلام الذي يود المتكلم إيصاله للمستمع بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فالتداولية هنا لا تهتم بالألفاظ أكثر من اهتمامها بما تحمله من معاني ضمنية، والواقع خير شاهد على ذلك فمثلا عندما تمر بشوارع بجاية وتجد عائلة ترفع بيدها لافتة مكتوب عليها «عائلة سورية لاجئة» فسياق وألفاظ هذه العبارة تحملان معاني خفية، فنحن عندما نقرأها فإننا حتما سنفهم أن هذه العائلة تريد مساعدة وصدقة، وهذا ما يظهر في قول جورج يول (George yule)«تختص التداولية (pragmatics) بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب)

[1]- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، ج1، ص30.
[2]- ينظر: محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2002 ، ص 11.
[3]- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة ،الجزائر،ط 1، 2009 ص65.

ويفسره المستمع (أو القارئ)؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة»[1]، بمعنى أنّ التداولية تهتم بالمعنى الضمني للكلمات ولا تعير الاهتمام لهذه الكلمات وهي منعزلة عن السياق، فمثلا قول الأب لابنه "لقد أذّن المغرب" فهذه العبارة تحمل المعنى الكلي لها، وليس معنى الكلمات منفردة، فالأب هنا لا يقصد إبلاغ ابنه بأذان المغرب، وإنّما قوله يلمح إلى أمره بالصلاة.

وفي موقف أخر يقرّ "محمود أحمد نحلة" بأن التداولية فرع من فروع علم اللغة الذي يسعى فيه المستمع إلى الكشف عن مضمون كلمات المتكلم فيؤولها ويستنبط معانيها، وقد دعم قوله هذا بمثال "أنا عطشان" ففي نظره هذه العبارة قد تعني أحضر لي كوبا من الماء وليس شرطا أن يكون مفادها الإخبار[2].

ومن جانب أخر نجد جيني توماس **(Jenny Thomas)** قد أورد ثلاث تعريفات للتداولية الأول يتمثل في "المعنى الذي يقصده المتكلم" وقد صرح في هذا التعريف بأن المعنى له مستويين وهما: معنى المنطوق والقصد من ورائه، والمفهوم الثاني يتمحور حول "تفسير المنطوق" فهنا يكون التركيز على الطريقة التي يسعى السامع إلى تفسير معين دون الأخذ بعين الاعتبار القيود الاجتماعية على إنتاج المنطوق، أما التعريف الأخير فيتمثل في "المعنى في لغة الحوار"، وفي نظره المعنى لا يظهر في الكلمات فقط ولا ينتج من طرف

[1]- جورج يول، التداولية، تر: الدكتور قصي العتابي، دار الأمان، الرباط ،ط 1، 2010، ص 19.
[2]- ينظر محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص12.

المتكلم أو السامع بل المعنى عملية ديناميكية يستوجب تداوله بين طرفي العملية التواصلية والسياق الذي قيل فيه المنطوق[1].

وكما سبق وأن ذكرنا آنفا، فالتداولية غيرت مجرى الدرس اللغوي الحديث إذ أعادت الاعتبار للمعنى الذي كان مهملا في البنيوية، فهي إذن لا تنظر لمخارج الحروف ولا لأوزان الكلمات ولا حتى محل إعرابها، إنّما هدفها الرئيسي هو كيفية استعمال الكلمات في سياقها لغرض فهمها في مواقف معينة وهذا ما يصرح به "بهاء الدين" في كتابه تبسيط التداولية «هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية»[2] ففي استعمالاتنا اليومية لعبارة "الله يبارك" قد تفيد الاستحسان أو الاستهزاء فسياقها هو من يحدد معناها.

إضافة إلى إهمال دي سوسير للكلام الذي فرّق بينه وبين اللغة معتبرا هذه الأخيرة ظاهرة اجتماعية، بينما الكلام التأدية الفردية لها، وهذا ما جعل التداولية تهتم بالكلام وكيفية استعماله في سياقات مختلفة، وفي هذا الصدد يقول محمد محمد يونس علي نقلا عن "جون ليون (John Lyons) بأن التداولية هي: « دراسة كيف يكون للمقولاتمعان في المقامات

[1]- جيني توماس، المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البرجماتية (التداولية)، تر: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء الرياض،ط 1، 2010، ص 40،41.
[2]- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010، ص18.

الخطابية»[1], وفي السياق نفسه تصرح فرنسواز أرمينكو (**FrançoiseOrmenko**) بقولها: «تعدّ التداولية استطالة لسانية أخرى للسانيات التلفظ، التي دشنها بنفنست (Benveniste). إذ إنّ التمييز الكبير لا يتم أبدا بين اللّغة والكلام، ولكن بين الملفوظ الذي يقصد به ما يقال، والتلفظ كفعل القول»[2]، مما يعني أنّها ربطت التداولية بأعمال بنفنست الذي طور ثنائية (اللغة/ الكلام)، واعتمد على مفاهيم التداولية في تفسير علاقة المتكلم بلغته، كما صرحت أيضا بأنّه ميّز بين الملفوظ الذي يعد مجموع الأقوال المنجزة، والتلفظ الذي يعني النشاط المتحقق بواسطة الكلام.

[1]- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط 1، 2004،ص13.

[2]- فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، د ط، 1986، ص7.

2- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

إنّ المحطة التاريخية التي مرّت بها التداولية وتعدد بيئة نشأتها، جعلها تتداخل عن بعد أو قرب مع عدّة علوم، من بينها: اللسانيات البنيوية، علم الدلالة، اللسانيات النفسية اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التعليمية.

2-1- علاقة التداولية باللسانيات البنيوية:

تهتم التداولية بدراسة اللغة بعلاقتها مع مفسريها، وبذلك تسلط الضوء على الكلام الذي كان مهملا عند البنيويين، وهو الجانب الذي أقصاه (دي سوسير) في دراسته لثنائية (اللغة/الكلام)، حيث اعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية أمّا الكلام فهو التأدية الفردية لها، مما يعني أنّ «اللغة تختلف عن الكلام في أنّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة»[1]، وهذا ما يوحي إلى أنّ اللسانيات البنيوية تدرس اللغة في بنيتها المغلقة على عكس التداولية التي اهتمت بمقاصد ونوايا المتكلم في إطار سياق تلفظه، لكن هذا لا يعني أنّ الكلام (التداولية) بعيدا كل البعد عن اللغة (البنيوية)، «فاللّغة لا تتحقق إلّا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهم خصائص من يؤديها... فالكلام- إذا- مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعا؛ ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للّغة، والتداخل واضح بينهما، مما يفرض الحاجة إلى دراسة متكاملة»[2]، وهذا ما يلمح إلى أنّ الكلام ليس معزولا عن اللغة إلّا افتراضا، لأنّه لا كلام

[1] -فرديناند دي سوسور،علم اللغة العام، ص 33.
[2] -خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 123.

دون لغة ولا لغة دون كلام، فإنّهما أشبه بأن يكون وجهان لعملة واحدة، لكنّ الاختلاف يكمن في أنّ البنيوية تعزل اللغة عن كل ما هو خارجي فتقتصر على الوصف فقط، أمّا التداولية فتفتح المجال للغة وذلك من خلال دراستها أثناء الاستعمال ويتولد عن ذلك تأثير المتكلم على المستمع من خلال مقاصده.

2-2- علاقة التداولية بعلم الدلالة:

يعدّ علم الدلالة فرعا من فروع اللسانيات الذي يدرس المعنى، وهذا ما تشترك معه التداولية، لكنّ الاختلاف بينهما يكمن في أنّ الأول يدرس المعنى بمعزل عن السياق أمّا الثاني فيدرس المعنى داخل السياق، كما أنّ العلماء صنفوا علم الدلالة ضمن الكفاءة، أمّا التداولية فصنفوها ضمن الأداء، مما يعني أنّ التداولية تقوم على التبعية لعلم الدلالة، وهذا الأخير يعرّف شروط المعنى وحقيقتها، في حين تهتم التداولية بدراسة هذه الشروط حين تربط المعنى بالاستخدام، وهذه النقطة بالتحديد تختلف فيها التداولية عن علم الدلالة، لأنّ استخدام المعنى يختلف عن المعنى[1]، ولنبسط أكثر سنعطي مثالا عن ذلك: لقد هرب أسد من حديقة الحيوانات، فالمعنى هنا حقيقي لكنّه قد يتجاوز استخدام هذا المعنى إلى غرض التحذير.

2-3- علاقة التداولية باللسانيات النفسية:

تعدّ اللسانيات النفسية فرع من فروع علم اللغة التي تدرس العوامل النفسية والعقلية (الذكاء، الانتباه...)، وهذا ما يجعل اللسانيات التداولية تعتمد في دراستها على القدرات العقلية

[1]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 129.

والنفسية للمتكلم والمستمع، فعلم اللّغة النفسي «يشترك مع التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه والذاكرة والشخصية»[1].

2-4- علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية:

سبق وأن ذكرنا أنّ التداولية تدرس اللغة في علاقتها مع مستعمليها، في حين أنّ اللسانيات الاجتماعية تدرس اللغة في علاقتها مع المجتمع، ومن خلال هذا «يبدو أنّ للتداولية تداخلا كبيرا مع اللسانيات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، على موضوعه، وبيان مراتبهم وأجناسهم، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار التنوعات اللّغوية البارزة في كلامهم»[2]، فمثلا الأداء الكلامي في المجتمع الجزائري يساعدنا على التعرف على الطبقات المثقفة وغير المثقفة.

2-5- علاقة التداولية بالتعليمية:

لقد استفادت التعليمية من التداولية، وبالتحديد ما يخص عملية التعليم من حيث مناهجه وتطبيقاته، «حيث تأكد بأنّ التعليم لا يقوم على تعليم البنى اللغوية دون الممارسة الميدانية التي تسمح للمتعلم بالتعرف على قيّم الأقوال وكميّات الكلام، ودلالات العبارات في مجال استخدامها، إلى جانب أغراض المتكلم ومقاصده، التي لا تتضح إلّا في سياقات مشروطة»[3] بمعنى أنّ التداولية أتاحت للتعليمية بأن لا تقتصر على تعليم التلاميذ القواعد

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص11.
[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 133.
[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

النحوية فقط بل ساهمت في إدخال مبدأ الأداء في العملية التعليمية، وهذا الجانب يساهم في إبراز أغراض المتكلم في سياقات مختلفة خاصة في الحصص التعبيرية، فالمتعلم لا يخضع لقواعد النحو فقط، إنّما يبرز أداءه التبليغي وبهذا «تجاوز التعليم مهمة التلقين لتحصيل كفاءة إلى مهمة تحصيل الأداء بتوفير حاجات المتعلم والاقتصار على تعليمه ما يحتاج إليه والاستغناء عمّا لا يحتاج إليه من أساليب وشواهد تثقل ذهنه»[1]، حيث في الأول كان التعليم يرتكز على إيصال المعلومات دون إعطاء فرصة للتلميذ بالمشاركة، أمّا الآن أصبح للمتعلم دور فعّال في العملية التعليمية (في ظل المقاربة بالكفاءات)، فهو يناقش ويحلل ويشارك ويطرح الأسئلة، فالتعليمية إذن تركز على الملكة والتبليغ والسياق وهذا ما تشاركه مع التداولية.

[1]-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص133.

3-محاور التداولية:

رغم اتساع مجال التداولية وتعدد بيئة نشأتها إلا أنها استطاعت فرض نفسها في حظيرة العلوم وجعلت لنفسها مبادئ تستند عليها لدراسة اللّغة وعموما يمكن تحديد خمسة مواضيع رئيسية فيها وهي:

3-1- الإشاريات:

إن كل لغات العالم تحتوي على إشارات تساهم في رفع اللبس عن الأشياء التي نقوم بها أثناء الكلام، إذ يعرفها جورج يول بأنها: «فعل يستعمل فيه متكلم أو كاتب، صيغا لغوية لتمكين مستمع أو قارئ تحديد شيء ما»[1] والجدير بالذكر فإنها لا يمكن تفسيرها دون ربطها بالسياق وإن تم إبعادها عن هذا الأخير اعتلاها الغموض، ومثال على ذلك قولنا: "أعلنت وزارة الصناعة والتجارة أنه سيتم افتتاح معرض للصناعات التقليدية يوم الاثنين" فهذه الجملة غامضة لأننا لا نعرف متى أعلنت وهل انتهت مدة صلاحيتها أو لم يحن وقتها بعد وأي اثنين يقصد، ولمعرفة ما تشير إليه يجب أن تكون متزامنة مع زمن وسياق المتكلم.

وفي موقف أخر عرّفت نادية رمضان النجار الإشارة بأنها عنصر من عناصر التداولية, وهي كل ما يشير إلى ذات، أو زمان، أو مكان، وقد ربطتها بمفهوم المشير

[1]- جورج يول، التداولية، ص 39.

إضافة إلى إقرارها بأن اللسانيين قاموا بترجيح ثلاثة تصورات للإشارية وذلك من خلال ما بيّنه "ل. دنون بوالو" وهي[1]:

- الإشارية من حيث كونها ترد أشياء العالم وأحداثه إلى الموقع الذي يحتله المتكلم في المكان، وفي الزمان، لأنّه يوفر إمارة لمرجع قد تكوّن بعد.
- الإشارية من حيث كونها نمط تركيبي مرجعي لا يفصل لا يفصل بين الجهة والمرجع.
- الإشارة من حيث كونها تناسق نصي(محورة) تكمن من إدخال أشياء جديدة في الخطاب.

ويمكن تقسيم الإشاريات إلى خمسة أنواع وهي: الزمانية، المكانية، الشخصية، الخطابية والاجتماعية، وسوف نورد تعريفات مختصرة لهذه الأنواع:

3-1-1-الإشارة الشخصية:

هي الإشارات التي تحيل إلى عنصر الذات المتمثلة في ضمائر المتكلم (أنا نحن)، والمخاطب(أنت، أنتِ...)، وقد صرّح محمود أحمد نحلة بالرغم من أنّ هذه الضمائر لها دلالة في ذاتها إلاّ أنّها يجب أن تستند إلى مرجع ليحدد من هو المتكلم ومن هو المخاطب الذي يشير إليه الضمير أنا وأنت، وفي السياق نفسه يضيف بأنّ

[1]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط1، 2013، ص87.

ضمير الغائب يكون ضمن الإشاريات إذا كان حرا أي ليس له دراية بمرجعه في السياق اللغوي، أمّا إذا كان العكس فلا يعتبر من الإشاريات[1] .

3-1-2-الإشارة الزمانية:

هي الإشارات التي تحيل إلى الزمن الذي تلفظ به المتكلم، ويجب أن يكون زمن التلفظ متزامن مع سياق المتكلم، وإذا خُرقت هذه القاعدة سيصعب على السامع فهم وتأويل المرجع، مما يعني أنّ «إذ لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ»[2]، كقولنا: بُعثت اليوم الدفعة الأولى من الحجاج، فمرجع الإشارة الزمانية (اليوم) هي لحظة التلفظ بها إلا أنّها يصعب تحديد هذه اللحظة، لأننا لا نعرف أي يوم يقصد.

3-1-3-الإشارة المكانية:

هي الإشارات التي تحيل إلى المكان، إذ يتطلب تفسيرها معرفة مكان التكلم، فمثلا قولنا سأكتب هنا، فنحن لا نعرف مكان الكتابة أتكون على الكراس أو السبورة أو الحائط لأنّنا لا نعرف مرجع الكتابة، وبالتالي «يستلزم معرفة مكان التلفظ، واتجاه المتكلم، لأنّه قد يقود استعمال إشاريات المكان، في غياب الدّقة في التحديد عند التلفظ إلى اللبس»[3].

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 17.
[2]- المرجع نفسه، ص 17.
[3]- الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 12004، ص85.

3-1-4-الإشارة الاجتماعية:

هي الألفاظ التي تدخل في إطار الأعراف الاجتماعية بين المتكلمين، وتكون رسمية مثل(فخامة الرئيس، جلالة الملك...)، وغير رسمية مثل: (حرمة، زوجة عقيلة...)[1].

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 25.

2- الافتراض المسبق:

يعدّ الافتراض المسبق من أهم المبادئ التي يتكئ عليها التحليل التداولي، إذ يعني أن لمستعمل اللغة معلومات سابقة مخزنة في ذهنه وليس في الجمل التي يتلفظ بها، وبهذا يعرفه جورج يول بقوله: «هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجمل»[1]، فمثلا قولنا " لقد عدلوا الدستور" فأثناء التلفظ بها يتبادر إلى ذهن السامع أن من قاموا بفعل التعديل هم الحكومة لأنهم من أهل الاختصاص ويمكن للافتراض أن يتعدى افتراضات أخرى مثل المالكون للسلطة والحق في التعديل. وقولنا أيضا " رزق الله عمر ذرية صالحة" فيفترض السامع مسبقا أنّ عمر متزوج ولديه أولاد.

كما يعد الافتراض المسبق ركيزة أساسية في عملية التواصل، إذ يعرفه ديكرو **(Ducrot)**:«على أنه العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام، هل؟ أو نفي لا»[2] مما يعني أن الافتراض المسبق مرتبط بالمعنى الذي نستخلصه من القول فتحويله إلى استفهام أو نفي فإنه لا يتغير، وهذا المثال خير شاهد على ذلك قرأ زيد القرآن ففي حالة تحويله إلى استفهام نقول: هل قرأ زيد القرآن؟ أو إلى نفي: لم يقرأ زيد القرآن، وافتراضا لهذين المثالين يتضح لنا أن زيد يعرف القراءة.

[1]- جورج يول، التداولية، ص51.
[2]- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 32، نقلا عن عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص11.

وإضافة إلى هذا فقد ذكر أحمد نحلة بأنّ بعض الباحثين يميزون بين نوعين من الافتراض المسبق وهما المنطقي والتداولي، فالأول يشترط وجود الصدق بين القضيتين ويكون مطابقا للواقع ونستنتجه من خلال الذهن، أما الثاني فلا علاقة له بالصدق والكذب وإنما القضية الأساسية يمكن أن تُنفى دون أن يؤثر على الافتراض المسبق أي نستخرجه من الجملة[1]،فمثلا إذا قلنا " إنّ الطالبة التي تدرس معنا يتيمة"، فإذا كانت هذه الجملة صادقة ومطابقة للواقع فإنّنا نستنتج أنّ الطالبة توفيا أبويها (الافتراض المنطقي)، وأمّا إذا قلنا: "شواطئ بجاية جميلة" وننفي هذه الجملة ونقول: "شواطئ بجاية ليست جميلة"، فعلى الرغم من التناقض الموجود بين الجملتين إلّا أنّنا نفترض مسبقا أنّ لبجاية شواطئ (الافتراض التداولي)، فالمتكلم أثناء حديثه يؤثر على المستمع مما يجعل هذا الأخير يفكر في أشياء غير موجودة في المقام التبليغي عند المتكلم حيث نستثمر هذه العملية في المجال التعليمي كونها تساعد المتعلم على فهم معلومات جديدة انطلاقا من افتراضات سابقة وهذا ما صرح به مسعود صحراوي بقوله: «ففي "التعليميات"(Didactique)، تم الاعتراف بدور "الافتراضات المسبقة" منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه»[2]، وهنا إشارة إلى التعليم الجديد وفق المقاربة بالكفاءات، فمثلا: أثناء تدريس الأستاذ لتلاميذ موضوع " الفاعل" فيقول لهم أنّه هو الذي يدل على من قام بالفعل، وفي الاختبار يعطي لهم جملة (قرأ زيد الكتاب)، ويقولوا لهم

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص28.
[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العربدراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دار الطليعة، بيروت، ط 1 2005، ص32.

استخرجوا الفاعل، فإنّهم بكل بساطة يفترضون مسبقا أنّ الفاعل هو من قام بالفعل، وبالتالي يستنتجون أنّ الفاعل هو " زيد".

3- الاستلزام الحواري:

يعتبر الاستلزام الحواري محورا أساسيا في الدرس التداولي، إذ يعد جرايس(Grice) السّباق في البحث فيه من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد، ويصرح محمود أحمد نحلة بقوله: «لقد كانت نقطة البدء عند جرايس هي أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون»[1]، بمعنى أنّ جرايس في بادئ الأمر جعل حوارات النّاس ذات ثلاثة أبعاد، فالأول يتمثل في أنّ المتكلم يلقي كلامه بطريقة مباشرة دون لجوء المستمع إلى البحث عن نوايا المتكلم، والثاني يعني أنّ مقاصد المتكلم أكثر من أقواله، فبعبارة واحدة قد يلمح إلى معاني عدّة, على سبيل المثال تقول المذيعة في نشرة الأحوال الجوية " سينزل المطر بقوة هذا اليوم" وما تخفيه هذه العبارة هو حث المستمع على أن يحضر معه أثناء خروجه من المنزل مظلة ويلبس ثيابه إضافة إلى عدم سرعته أثناء القيادة..."، أمّا البعد الثالث فيتمثل في أنّ المقاصد مناقضة للأقوال على نحو قول الأستاذة لطالب دخل إلى المحاضرة "صباح الخير" فهي لا تقصد إلقاء التحية عليه, وإنّما توبخه على تأخره، وفي السياق نفسه يضيف أحمد نحلة أنّ جرايس كان همه الوحيد إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد, فالأول هو ما تعنيه الألفاظ أثناء التلفظ بها, أمّا الثاني هو ما يسعى المتكلم إبلاغه للسامع بطريقة غير مباشرة[2].

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص32.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص32.

ولقد ميّز جرايس بين نوعين من الاستلزام الحواري وهما: الاستلزام العرفي، والاستلزام الحواري.

3-1- الاستلزام العرفي:

هو ما تعارف عليه مستخدمي اللغة، إذ أنّ استعمال بعض الألفاظ الّتي لها دلالة في ذاتها، لا يتغير مدلولها مهما اختلف سياقها أو تراكيبها[1]، فمثلا في جملة "أتريد القهوة أم الحليب" فإنّ من المستلزم ما يأتي بعد "أم" هو التخيير.

3-2- الاستلزام الحواري:

في هذا العنصر تكون دلالات الألفاظ ذات معاني متعددة باختلاف سياقات ورودها، إذ يعد الحوار العنصر الفعال فيه فالمتكلم يتلفظ شيء والمستمع يفهم شيئا أخر.

وليكمل جرايس وصف الاستلزام دأب إلى وضع مبدأ سماه "مبدأ التعاون"، وفي هذا الصدد يقول مسعود صحراوي: «لوصف هذه الظاهرة يقترح غرايس (1975) نظريته المحادثية، التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية»[2]، أي ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المتكلم للتعبير عن قصده، مع الأخذ بعين الاعتبار قدرة المستمع على تأويله وفهمه، ومساهمة كلّ منهما في إنجاح عملية الحوار وفقا لما يقتضيه مقال القول.

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 33.
[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، ص33.

وهذا المبدأ لا يؤدي مفعوله إلاّ بالخضوع إلى كما سبق وأن ذكرنا للمسلمات الحوارية والّتي تتمثل في أربع مبادئ وهي[1]:

1- منها ما يتعلق بكم الخبر وهي: لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته، لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

2- منها ما يرتبط بكيفِ الخبر وهي: لا تقل ما تعلم كذبه، لا تقل ما ليست لك عليه بيّنة.

3- منها ما يرتبط بعلاقة الخبر بمقتضى الحال: ليناسب مقالك مقامك.

4- منها ما يتعلق بجهة الخبر: لتحترز من الخفاء في التعبير، لتحترز من الاشتباه في اللّفظ، لتتكلم بإيجاز، لترتب كلامك.

ويمكن للمتكلم أن ينتهك أحد هذه القواعد، وما على المستمع إلّا التفطن لذلك قصد معرفة هدف المتكلم، وهذا الانتهاك لا يقتصر على المعنى الصريح فقط وإنّما يمس أيضا المعنى المجازي، وفي هذا الشأن يصرح طه عبد الرحمان: « إلّا أنّ المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنّهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة، فان الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي»[2]، والاستلزام الحواري يقوم على هذا الانتهاك، لكن ما عليه إلّا الاحتكام لمبدأ التعاون، وسوف نقوم بعرض بعض الأمثلة عن ذلك:

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000، ص 104.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء, ط 1، 1998، ص239.

ص- أراجعت دروسك وكتبت وظائفك؟

ح- راجعت.

نلاحظ في هذا الحوار أنّ (ح) قام بخرق مبدأ الكم، لأنّ (ص) سأله عن أمرين، فأجاب عن الأول وأهمل الثاني، أي أنّ إفادته أقل من المطلوب.

ص- الغراب من الثدييات، أليس كذلك؟

ح- أكيد، والحمامة من الزواحف.

في هذا الحوار قام (ح) بخرق مبدأ الكيف لأنّه قال ما ليس صحيح، واستعمل هذا الخرق ليثبت ل (ص) أنّ إجابته خاطئة.

ص- أين كراسي؟

ح- ثمة كتاب عند عمر.

ما قاله (ح) ليس إجابة عن السؤال، فهو انتهك مبدأ المناسبة، لكن بالنظر إلى المبادئ الأخرى، يفهم أنّ كراسه عند عمر.

ص- أين مئزري؟

ح- إصعد السلالم، واتجه نحو اليمين، تجد غرفة النوم لون بابها بني وافتحه، تجد خزانة بيضاء.

في هذا الحوار قام (ح) بانتهاك مبدأ الطريقة، لأنّ في إجابته إطناب ولم يوجز في كلام وبكل بساطة يكفي أن يقول في الخزانة.

وخلاصة ممّا سلف يعدّ مبدأ التعاون جزء لا يتجزأ من الاستلزام الحواري، كما أنّ العملية التواصلية لا تستقيم إلّا بتوفرهما.

4- الحجاج:

يعدّ الحجاج مبحثا أساسيا من المباحث التداولية، وقد ورد في أساس البلاغة للزمخشري «حجج: احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب، وحاج خصمه فحجه وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة»[1]،وبالتالي فإنّ الحجاج يقوم على مبدأ التفاعل والحوار، وهذه النظرية تقوم على طرفي العملية التبليغية، بحيث تكون في الأول نية التأثير في الطرف الثاني، وهذا ما نراه واردا في كتاب اللغة والحجاج لأبو بكر العزاوي عندما صرّح بقوله: «وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أنّنا نتكلم عامة قصد التأثير»[2].

وإلى جانب التأثير نجد أيضا الإقناع الذي يلعب دورا جدّ فعال في العملية الحجاجية إذ «تستعمل إستراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية»[3]، وهذا ما نجده في الانتخابات الرئاسية، فكل حزب يستعمل آلياته الحجاجية لجلب وإقناع الجماهير للتصويت لهم، كما نجده أيضا في الخطاب الإشهاري بقوة، فمثلا في شريحة موبيليس نجد الومضة الإشهارية لها"موبيليس أهدر باطل"، فبالتأمل في هذه العبارة نجد غايتها هي جذب المتعاملين معها، من خلال إقناعهم بإجراء المكالمات مجانا.

---

[1]- الزمخشري، أساس البلاغة، ص 169.
[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 14.
[3]- الهادي بن ظافر الشهري،إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 445.

إضافة إلى ذلك فالحجاج يهدف إمّا لإثبات شيء ما أو معارضته وقد يظهر بطريقة مباشرة في سياق ما، كما قد يختفي في سياق أخر وذلك لتداخل عوامل أخرى[1]، ويمكن توضيح ذلك بمثال، عليّا بمراجعة دروسي لكي أنجح في الامتحان،فهذا القول يتضمن حجة (مراجعة الدروس)، ليخرج إلى نتيجة تتمثل في (النجاح في الامتحان) فسبب مراجعة الدروس ترتبط مباشرة بعامل النجاح، وبتعبير أدق فإنّ الحجاج هدفه تقديم الحجج والأدلة للوصول إلى نتيجة معينة أو إثبات قضية.

ولقد حدّد كل من ببرلمان(Perlman) وتيتكاه (Tyteca) موضوع الحجاج «هو درس تقنيات الخطاب الّتي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[2]، أي أنّ الخطاب الحجاجي عندهما هو خطاب يقوم على منتجيه، من خلال مشاركتهم في بناء نص حجاجي متماسك، وفقا لما تتطلبه الآليات الحجاجية المختلفة.

أمّا طه عبد الرحمان فقد عرفه بأنّه «فعالية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي»[3]، من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن طه عبد الرحمان قد أعطى للحجاج بعدا تداوليا جدليا، بمعنى أنّه من شروط قيامه وجود متكلم ومستمع، وخضوعهما

[1]- نادية رمضان النجار،الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص104.
[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني، تونس، ط 1، 2011 ، ص 13.
[3]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص65.

للسياق المقامي والاجتماعي في ذات الوقت، وكذا وجود معارف مشتركة بينهما، مع الأخذ بعين الاعتبار انسجام الحوار، وذلك للوصول إلى غاية مهمة ألا وهي التأثير.

وفي موقف أخر نجد ديكرو وأنسكمبر (Anscomber) قد تحدثا عن الحجاج في كتابهما " الحجاج في اللغة"، على أنّ الحجاج يقوم بالدرجة الأولى على اللغة، بل يوجد في مضامينها، على عكس ما ذهب إليه بيرلمان الذي اعتبر الحجاج مجموعة من أساليب وتقنيات التي تتأسس من منطق رياضي أو شكلي[1]، إضافة إلى هذا فقد حصرا وظيفة الحجاج في الوظيفة التوجيهية، ونجد الشيء نفسه عند عبد الله صولة حين صرّح بأنّ «وظيفة الحجاج عندهما تكمن في التوجيه (L'orientation) حتى أنهما حصرا دلالة الملفوظ في التوجيه الناتج عنه»[2]، والمغزى من هذا التوجيه، هو أنّنا عندما نتكلم فإنّنا حتما سنؤثر على السامع ذلك من خلال توجهيه بالقيام بعمل ما.

إنّ الفضل في ظهور النظرية الحجاجية يعود إلى نظرية أفعال الكلام، التي أرسى معالمها اوستين، مما جعل ديكرو يخطو خطوة مهمة في البحث التداولي إذ قام بتطوير أفكار اوستين، خاصة عندما اقترح إضافة فعلين لغويين المتمثلان في فعل الاقتضاء وفعل الحجاج[3].

[1]- ينظر: سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط 1، 2007، ص 22.
[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 2001، ص35 .36
[3]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص15.

5- أفعال الكلام

هي نظرية في المجال التداولي جاء بها أوستين، وطوّرها سيرل، إذ تقوم هذه النظرية على مبدأ أساسي هو أنّنا عندما نتكلم فنحن بصدد إنجاز أعمال في الواقع، وسنتناولها بالتفصيل في الفصل الثاني.

الفصل الثّاني

نظرية الأفعال الكلامية

المبحث الأوّل:

نظرية أفعال الكلام عند الغرب.

المبحث الثّاني:

نظرية أفعال الكلام عند العرب.

I. الأفعال الكلامية عند الغرب

أولا: أفعال الكلام عند أوستين:

ظهرت هذه النظرية على يد الفيلسوف (**أوستين Austin**) كما جُمعت محاضرات دي سوسير في كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، فنجد الشيء نفسه عند أوستين «وقد جمعت محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955 في كتاب سمي كيف تفعل الأشياء بالكلمات»[1]، وهذا الموضوع يلمح إلى أن بعض الأقوال التي ينتجها المتكلم في حالات معينة تتحول إلى أفعال ذات قيمة اجتماعية،فمثلا جملة " يعجز اللسان عن التعبير" ليست توالي الكلمات فقط بقدر ما تعنيه في الواقع الاجتماعي للمتكلم إما فرحا أو حزنا أو دهشة، مما يعني أن مستعملي اللغة يتلاعبون بالكلمات وفقا لما تقتضيه الأعراف الاجتماعية، وفي هذا الشأن يصرح خليفة بوجادي أن أفعال الكلام هي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم منطلقاتها التاريخية، حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، بمعنى أن استعمالها ليس فقط فرض المنطوق اللغوي، بل يجب إدخال الحدث الاجتماعي ليتماشى الإنجاز الكلامي مع وتيرة الواقع[2].

إنّ أوستين لم يبدأ من العدم بل كان للخلفيات التاريخية التي سبقته الفضل في تأسيس نظريته إذ تأثر بالمنطق الأرسطي ونظريات القانون الإداري والرياضيات، وقد رفض رفضا قاطعا نظرة الفلاسفة الوضعية للغة إذ اعتبروها أداة رمزية، وظيفتها الأساسية هي

[1]- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 59.
[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص86.

وصف العالم الخارجي لا غير، وبالتالي فإنّ الهدف الرئيسي عنده « هو أن يدخل التناقض في الاعتقاد المنتشر انتشارا واسعا في الوسط الفلسفي الأنجلوسكسوني عصرئذ، القائل بأنّ الإثباتات خصوصا، وللغة عموما، وظيفة وصف حالة الأشياء وأنّها صادقة أو كاذبة»[1] بمعنى أنّ المعيار الأساسي عنده في وصف اللغة هو الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

إضافة إلى هذا، وقبل الدخول إلى هذه التقسيمات ينبغي أن نشير إلى تأثر أوستين بالفيلسوف فيتجنشتاين Wittgenstein()، خاصة بفلسفته التحليلية، التي تنص هذه الأخيرة على دراسة اللغات الطبيعية، ويصرح مسعود صحراوي في هذا الشأن أنّ « "الأفعال الكلامية"، مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار "الفلسفة التحليلية" بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا»[2].

إنّ الفعل الكلامي يركز على مقاصد المتكلم، إذ يكون القصد هو تحديد لغرض معين لم يصرح به إما طلبا أو توبيخا أو تحذيرا، وقد قسم أوستين الأفعال الكلامية في البداية إلى قسمين هما:

أ- الأفعال الإخبارية:

وهي أفعال تقوم بوصف أحداث العالم الخارجي، والتي تحمل في كنفها الصدق أو الكذب، إذ تكون صادقة إذا طابقت الواقع، والشيء نفسه عندما تكون كاذبة، لكن أوستين تفطن إلى نقطة مهمة في الجمل الإخبارية كونها ليست كلها جملا خبرية خاضعة لمعياري

[1]- جاك موشلر- آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية دار سيناترا، تونس،د ط، ص56.

[2]- مسعود صحراوي, التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، ص17.

الصدق والكذب، ودعّم أوستين قوله بمثال: «عندما أقول في الكنيسة أو عند من يكتبون العقد "نعم أقبل الزواج بها" فأنا في هذا المقام لا أذيع خبرا ولا أنشره، بل إنّ لسان حالي يقول:" رضيت بالزواج"»[1]

ب- الأفعال الأدائية أو الإنجازية:

وهي الأفعال التي لا يصدر عليها الحكم بالصّدق والكذب، ولا تقوم بالوصف ولا حتى الإخبار، وإنّما مهمتها هي عندما نتلفظ بقول فإنّنا ننجز فعلا في الواقع، لهذا «فليس لها قيمة الحقيقة إذ نستعملها لنصنع شيئا ما، لا أن نقول إنّ شيئا ما صادقا أو كاذبا»[2]، فمثلا عندما أقول لزميلتي "أنا تعبت من حمل جهاز الحاسوب" فأنا هنا لست بصدد الإخبار، إنّما غايتي من هذا هو طلب المساعدة.

أمّا معياره للحكم على الأفعال الأدائية هو ما سماه موفقة أو غير موفقة، وهذا ما يظهر جليا في قوله: «إنّ التلفظ بالعبارة لم يكن في الحقيقة فصيحا فقط بل غير مطابق لمقتضى الحال أو هو على خلاف مقتضى الحال (un happy)...ولا أدعي أنّ هذه الخطاطة نهائية، وجود بعض الشروط الممهدة التي يجري عليها الإنشاء، على الأقل جريانا مطابقا للاعتبار المناسب (happy)»[3] بمعنى أنّ مفهوم النجاح الذي تكلم عنه هو نجاح العملية التأثيرية في المتلقي، وهذا الأخير يستجيب لما يريده المتكلم، وهذا ناتج عن حسن

[1]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 1991 ص17.
[2]- صابر حباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار، سوريا، ط 1، 2010، ص199.
[3]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ص 27.

استغلال المتكلم لمختلف السياقات و الظروف المحيطة بالعملية التواصلية، أمّا إذا لم يتأثر المتلقي ولم يستحب كان لزاما على العملية التأثيرية أن ينسب إليها صفة الإخفاق وعدم النّجاح.

غير أنّ هذه الأقوال لا تضمن لنفسها التوفيق، إلّا بالخضوع لشروط الملائمة، وإن لم يتحقق ذلك كان الأداء سيئا، ومن بين هذه الشروط نذكر ما يلي[1]:

- ❖ أن يكون ذو إجراء عرفي، أي متعارف لدى النّاس، كالزواج والطلاق.
- ❖ أن يحتوي الإجراء على كلمات معينة يتلفظ بها أناس معينين.
- ❖ أن تكون ظروف المقام مناسبة لظروف المقال.
- ❖ أن تكون للأشخاصكفاءة لتنفيذ الإجراء.
- ❖ أن يكون الإجراء صحيحا.

بيد أنّ أوستين لم يقتنع بهذا التقسيم، مما جعله يلجأ إلى قرار أخر لحسم موضوع التقسيم، إذ رأى أنّ كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظائف الأفعال الأدائية، مما جعله يعيد طرح سؤاله كيف ننجز الأشياء بالأفعال؟ وفي الأخير توصل إلى إجابة مفادها أنّ الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال[2].

[1]- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراجماتية (التداولية)، المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، مصر، ط 1، 2002 ص 98.

[2]- ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط, ط 1، 2011، ص99.

1- الفعل اللفظي:

المقصود به إطلاق ألفاظ ذات صبغة صوتية، نحوية، صرفية، ودلالية، أو بالأحرى إن صح القول خاضعة لمستويات اللغة.

2- الفعل الإنجازي:

وهو الفعل الذي يتضمن الغرض من المعنى مقصد الكلام، كالدعاء، والأمر، والنصح وغيرها من الأغراض،وما على المتلقي إلّا الكشف عنها، لهذا يقول أوستين: «فبإنجازنا لفعل كلامي سنكون منجزين لبعض ما تناوله كلامنا، وما لم يتناوله»[1]، وهذا القول يلمح إلى وجود معنيين للفعل، الأول ظاهر والثاني مضمر، ومثالنا على ذلك قولنا: هل تساعدني على رفع هذه الطاولة؟ فالمتكلم هنا لا يقصد السؤال، وإنّما غرضه من ذلك طلب المساعدة من المتلقي.

3- الفعل التأثيري:

ويتضمن أثر الكلام في المتلقي، سواء أكان التأثير جسديا أو فكريا، والغاية منه هو فعل شيء أو تركه، أو تغيير رأيه، وبالتالي «يتعلق بمسألة كيف يكون رد فعل السامع»[2] فمثلا كتابة في لافتة " منطقة محظورة" فالقارئ عندما يقرأها، سيتخلى عن فكرة الدخول لتلك المنطقة.

[1]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ص 119.
[2]- جوستن هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، تر: سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، مصر، ط 1، 2012 ص34.

وفي المرحلة الأخيرة توصل أوستين إلى تصنيف الأفعال اللغوية إلى خمسة أصناف وهي:

1- أفعال الأحكام: هي الأفعال الدالة على الحكم، وذلك من خلال الإعلان عنه مثل: التعيين، الفصل، الإذن، كقولنا: أعينك وزيرا.

2- أفعال القرارات: «هي الأفعال الدالة على القرارات، أي التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضده»[1]، مثل النصح، التحذير، الطلب.

3- أفعال التعهد: هي الأفعال التي نستعملها لغرض التعهد لفعل شيء، مثل أعدك بإحضاره.

4- أفعال السلوك: وهي ود فعل المتكلم اتجاه سلوك الآخرين، مثل: الاعتذار المواساة، كقولنا: أعتذر عن تأخري.

5- أفعال الإيضاح: «هي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر وبيان الرأي»[2].

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص69.
[2]- المرجع نفسه، ص70.

ثانيا: أفعال الكلام عند سيرل

لقد طوّر سيرل نظرية أستاذه، وأدخل عليها بعض التعديلات، ويمكن القول أنّ مرحلته تعتبر مرحلة النّضج والاكتمال لهذه النظرية، ولهذا «احتل الصدارة بين أتباع أوستين ومؤيديه، إضافة إلى هذا، فقد أعاد النّظر لنظرية أستاذه كما قام بتطويرها»[1].

وما قام به سيرل يعدّ قفزة نوعية في الاتجاه التداولي، وذلك من خلال سدّه للثغرات التي وقع فيها أوستين، إلى جانب هذا نجده يؤكد «أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأنّ للقوة الإنجازية دليلا سمي دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة»[2]، بمعنى أنّ الغرض الأساسي للتواصل عنده هو الفعل الإنجازي، وأثناء نطقنا بجملة ما فإنّنا ننجز فعلا في الوقت ذاته، وهذا الفعل إمّا أن يكون طلبا، أو دعاء، أو أمرا، مما يعني أنّ الفعل الإنجازي له الفضل في تحديد نوع الفعل الذي نؤديه.

فضلا عن ذلك فقد سعى إلى تقسيم الأفعال الكلامية إلى أربع أقسام، إذ أصرّ على إبقاء الفعل الإنجازي والفعل التأثيري على حالتهما، لكن حسب رأيه الفعل التأثيري ليس له أهمية، باعتباره ليس من اللازم أن يكون لكل فعل تأثيري صدى في السامع يجذبه لإنجاز

[1]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشّيباني، ط 1، دار الطليعة بيروت، 2002، ص33.

[2]- علي محمود حجي الصرّاف، في البراجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة)، ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2010 ص 51.

ذلك الفعل[1]، فجعل الفعل اللّفظي قسمين الأول يتمثل في الفعل النطقي، والثاني هو الفعل القضوي، ولتوضيح ذلك نعطي أمثلة:

1- يصوم زيد رمضان.

2- يا زيد صم رمضان.

3- أيصوم زيد رمضان؟

4- لو يصوم زيد رمضان.

إنّ المتكلم عندما يتلفظ بهذه الجمل، فإنّه سيقوم بإنجاز الأفعال التالية:

1- الفعل النطقي: ويتمثل في نطق الأصوات كما يقتضيه العرف النّحوي، والمعجمي بشكل صحيح.

2- الفعل القضوي: «وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع (refernce)، والمتحدث به أو الخبر (predication)[2]» ، إذ يمثل محور الحديث في الجمل الأربعة " زيد "، أمّا الخبر فيها جميعا هو "صوم رمضان".

3- الفعل الإنجازي: هو الإخبار في الأولى، وأمر في الثانية، واستفهام في الثالثة وتمني في الرّابعة.

4- الفعل التأثيري: لقد سبق وأن ذكرنا سابقا أنّ سيرل لم يعره أي اهتمام.

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص73.
[2]- المرجع نفسه، ص76.

لقد عزم سيرل على ربط الفعل الكلامي بالأعراف الاجتماعية واللّغوية في ذات الوقت ولا يتم حصره فقط في مقاصد المتكلم[1]، ومثالا على ذلك قول العربي " أثلجت صدري" وهذا تعبيرا عن فرحه، وأمّا الأجنبي إذا عبّر عن فرحة فيقول" réchauffé mon cœur" وبطبيعة الحال فالعربي يعيش في بيئة حارة، والأجنبي في بيئة باردة، مما يعني أنّ البيئة تساهم في تغير المعنى.

كما استطاع أيضا تطوير شروط الملائمة التي وضعها أوستين، فجعلها أربع شروط وهي:

1- شرط المحتوي القضوي:

في هذا الشرط يجب أن يكون فعل التلفظ لقضية ما، وأن تلصق القضية إلى المتكلم فعلا في المستقبل، وهذا ما يصرح به محمود أحمد نحلة بقوله: «فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب»[2]، فمثلا الوعد يستدعي من قائله إنجاز فعل في المستقبل.

2- الشرط التمهيدي:

هي شروط «تتصل بقدرات واعتقادات المتكلم، ومقاصد المستمع، بالإضافة إلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما»[3]، بمعنى أنّ المستمع قادر على إنجاز الفعل، وفي المقابل يكون المتكلم واثق من قدرة المستمع على إنجاز ذلك الفعل، فمثلا أقول لزميلتي: "أشعر

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص74.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]- العياشي أدراوي, الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص90.

بالبرد" وهي قادرة على القيام بالفعل المتمثل في "إعطائي معطفها"، وأنا على يقين من قدرتها بالقيام بذلك الفعل.

3- **شرط الإخلاص:**

في هذا الشرط يسلط الضوء على المتكلم، فيجب أن يكون مخلصا في أداء الفعل الإنجازي، فلا ينبغي أن يقول ما ليس له دليل عليه، فمثلا قول المتكلم للمستمع "ناولني الملح" يجب أن يكون جادا في طلبه، فعندما ينجز المستمع ذلك الفعل (إعطاءه الملح) فلا يقول له أنا أمزح معك.

4- الشرط الجوهري:

هو شرط ديناميكي بين المتكلم والمستمع، بحيث يؤثر الأول على الثاني للقيام بالفعل وإنجازه.

ولم يقف سيرل عند هذه الشروط فقط، بل قام بإضافة مجموعة من المعايير، بلغت اثنا عشر معيارا، يختلف فيها كل فعل إنجازي عن الأخر، وهي:

1- الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل: إنّ الغرض الإنجازي لفعل ما، هو قيام المتكلم بالتأثير على السّامع «فالهدف الغرضي هو جزء من القوة الغرضية وليس القوة الغرضية ذاتها»[1]، وبالتالي الهدف الغرضي للاستفهام في هذه الجملة " هل تساعدني على تحضير حفلة عيد ميلاد أمي"، هو طلب المساعدة.

[1]- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، لبنان، ط 1، 1993، ص225.

2- الاختلاف في اتجاه المطابقة: «فاتجاه المطابقة في بعض الأفعال الإنجازية من الكلمات إلى العالم كالإخباريات assertions وهو في بعضها من العالم إلى الكلمات كالوعد والرجاء»[1]، ففي هذا المعيار يجب أن تطابق الكلمات المتلفظ بها الأشياء الموجودة في الواقع فقولنا المطر ينزل يجب أن يكون مماثلا للعالم الخارجي.

3- الاختلاف في الموقف النفسي: إنّ المتكلم الذي يعِدُ، يكون بصدد التعبير عن مقصده الإلزامي، والذي يسأل، ويأمر فهو بصدد التعبير عن رغبته بقيام السامع بذلك الفعل، «وبصفة عامة يعبر المتكلم بأداء أي فعل غرضي بمحتوي قضوي عن موقف معين أو حاله»[2].

4- الاختلاف في القوة التي يتم بها انجاز الفعل: إنّ الجملتين أقترح بتغبير توقيت الامتحان، وأصرّ على تغير توقيت الامتحان، كلاهما يتفقان على القضية نفسها، وهي تغيير توقيت الامتحان، لكن الجملة الثانية أقوي وأشد من الجملة الأولى، «ومن المؤشرات المميزة للأفعال عن بعضها الشدة أو القوة فهناك أفعال انجازيه يمكن أن تشترك في تحقيق غرض إنجازي واحد، ولكن بدرجات متفاوتة من الشدة و القوة»[3].

5-الاختلاف في منزلة أو وضع المتكلم والمستمع من حيث أنّهما يؤثران في القوة الغرضية للمنطوق: إنّ الدرجة التي يعتليها المتكلم لها دور فعّال في التأثير على المستمع

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 76.
[2]- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 226.
[3]- علي محمود حجي الصرّاف، في البراجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة)، ص 58.

فلو طلب رئيس الجمهورية من الشعب العمل على رقي البلد لكان هذا أمرا، في حين إذا طلب الشعب من رئيس الجمهورية العمل على رقي البلد لكان هذا اقتراحا وليس أمرا.

6- الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمام المتكلم أو السّامع: إنّ العالم الخارجي محكوم بالمتضادات، فالشيء نفسه عند المتكلم والمستمع أثناء العملية التواصلية، فهما يختلفان كاختلاف تلك المتضادات، كالمدح والذّم، والتهنئة والتعزية، إذ يعتبر نمط من أنماط الشرط التمهيدي[1].

7- **الاختلاف في العلاقة بسائر عناصر الخطاب والسياق الذي يقع فيه:** إنّ المتكلم أثناء تعبيره عن قضية ما غالبا ما نجده يلجأ إلى ربط أقواله بباقي الكلام والسياق، بمعني أنّه يخلق ربط بين الملفوظات التالية والملفوظات السابقة[2]، ومن الأمثلة على ذلك (ومما سبق أستنتج ...إلخ).

8- الاختلاف في المحتوي القضوي: كالاختلاف بين المدح والذم، فالأول نستخدمه عندما نستحسن أمرا ما، أمّا الثاني فنستخدمه عندما نستهجن أمرا ما.

9- الاختلاف بين الأفعال الّتي لا تكون إلّا أفعال كلامية والّتي يمكنها أن تكون كلامية: فمثلا يمكنني أن أقول سأتبرع بمليون دينار لضحايا الزلزال، لكنّي قد لا أحتاج إلى قولها، فيكفي أن أضع المال في صندوق التبرعات.

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 76.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

10- الاختلاف بين الأفعال التي تقتضي عرفا غير لغوية ولغوية: يعطي محمود أحمد نحلة مثالا عن هذا بقوله «كالزواج وإعلان الحرب، فلا يجوز الزواج إلاّ في إطار عرف لغوي، وكذلك إعلان الحرب لا يجوز أن يقوم به شخص إلّا في إطار عرف غير لغوي، ولا كذلك أفعال مثل الوعد أو الإخبار فمثلها لا يحتاج إلّا إلى العرف اللغوي»[1].

11- الاختلاف بين الأفعال الّتي يمكن أن تكون أدائية أو لا تكون: إنّ أغلبية الأفعال الإنجازية لها أداء في الواقع، «فمثلا فعل "وعدّ" إنشائي بالضرورة، أمّا الفعل "هدّد" فلا يمكن أن يكون إنشائي، بما أنّني لم أنجز عمل التهديد بقولي "أهدّد"»[2].

12- الاختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازي: إنّ بعض الأفعال الإنجازية تتفق في الهدف والمضمون القضوي، لكنّها تختلف في الأسلوب،«كالاختلاف بين الإعلان والإسرار»[3].

كما أعاد أيضا النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية،فكان عليه أن يقدم تصنيفا أخر يمتاز بالدقة والضبط وهي: (الإخباريات، التوجيهيات، الإلزاميات، التعبيريات والإعلانيات)، وسنتطرق لشرحها في الجانب التطبيقي.

إضافة إلى هذا فقد خطى خطوة أخرى تتمثل في التمييز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة، واستند في ذلك إلى البنية والوظيفة،فالأشكال البنيوية تتمثل في (الخبر، الاستفهام

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 77.
[2]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ط 1، 2007ص 65.
[3]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 77.

الأمر)، والوظائف التواصلية هي (جملة خبرية، سؤال، أمر/ طلب)، بحيث كلما وجدت علاقة بينهما نحصل على كلام مباشر، بينما إذا وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على كلام غير مباشر[1]، فمثلا عند قولنا: السماء صافية اليوم، فهذه الجملة تخبرنا على أن السماء صافية، فلفظة "السماء" تتمحور ضمن السياق الخبري، ولكن إذا أردنا استعمالها لتكوين جملة خبرية على نحو قولنا: أنا بهذا أخبرك عن الجو، فهذا يندرج ضمن الفعل الكلامي المباشر، أمّا إذا أعدنا صياغة الجملة بطريقة أخرى لتكوين جملة أمرية أو طلبية، فإنها تؤدي وظيفة لفعل كلامي غير مباشر، مثل أنا بهذا أطلب أن لا تحضر معك المظلة هذا اليوم، وبتعبير أدق الأفعال المباشرة هي تلك الأقوال التي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول، أمّا الأفعال غير المباشرة فهي الأقوال التي لا تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول، لأنها لم تستعمل في سياقها المناسب[2]، فمثلا عند تصفحنا لمقال في جريدة يحمل عنوان "تعدت وحوش بشرية على طفل في سن الرّابعة"، فالقول "وحوش بشرية" لا يعني أنّ الفاعلين هم وحوش، إنّما استعملت استعمالا غير مباشر، أي أنّهم تجردوا من إنسانيتهم.

[1]- ينظر: جورج يول، التداولية، ص 82.
[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 81.

II. الأفعال الكلامية عند العرب

تمهيد: إنّ المتتبع لنظرية الفعل الكلامي في التراث العربي يجدها تتدرج ضمن علم المعاني، ويعرف السكّاكي هذا الأخير بقوله: « هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره, ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[1]، أمّا الخطيب القزويني فيعرفه بأنّه «علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبّرة عن المعنى المقصود»[2]، وبالتمعن في هذين التعريفين نجد أنّ علم المعاني يهتم بالدرجة الأولى بالمعنى في إطار السياق، مثله مثل النظرية أفعال الكلام التي أتى بها أوستين، وهذا ما نستشفه في قول مسعود صحراوي «تعتبر نظرية "الخبر والإنشاء" –عند العرب من الجانب المعرفي العام– مكافئة لمفهوم "الأفعال الكلامية" عند المعاصرين»[3].

وعلى العموم تمثل ظاهرتي الخبر والإنشاء القاعدة الأساسية في علم المعاني أو بالأحرى الحجر الأساس لهذا العلم، وقبل أن نعرج إلى الحديث عن الخبر والإنشاء يجب أن نتوقف أولا عند نقطة مهمة، وهي مسألة الخلاف في التمييز بينهما، حيث اختلف علماء العرب قديما في هذا الشأن، باختلاف وجهة نظرهم، فالبلاغي له نظرته، والنحوي والأصولي

[1]- أبو يعقوب السكّاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص 161.
[2]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003 ص 4.
[3]- مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند العلماء العرب، ص 49.

كذلك، إذ في البداية لم يكن للأسلوب الإنشائي أثر يذكر في المؤلفات العربية، ولم يكن ذا سيط، ولم يحمل قيمة الاستقرار إلّا في مرحلة متأخرة، فلم يتفق العلماء العرب على مصطلح الإنشاء، ولم نجده عند الجرجاني ولا حتى عند السكّاكي، ولكنّه نال حظه عند القلة من المؤلفين، أمثال الشيخ نجم الدين الكاتبي القزويني، ومحمد بن علي الجرجاني[1].

فنجد السكّاكي قد قسم الكلام إلى خبر وطلب، وهذا ما يصرح به في كتابه مفتاح العلوم «والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب»[2]، أمّا ابن فارس فيصرح أنّ «عند بعض أهل العلم عشرة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب وعرض، وتخصيص، وتمني، وتعجب»[3]، في حين ذهب القزويني إلى رد الاعتبار للإنشاء مصرحا «أنّ الكلام إمّا خبرا أو إنشاء، لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج، الأول خبر والثاني الإنشاء»[4].

[1]- ينظر: مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند العلماء العرب، ص 54- 55.
[2]- السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 163.
[3]- أحمد ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997 ص 133.
[4]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 24.

أولا: الخبر

1 تعريفه:

1-1- لغة:

لقد عرّف الشريف الجرجاني الخبر في معجم التعريفات بأنّه «لفظ مجرد عن العوامل اللّفظية، مسند إلى ما تقدّمه لفظا...، الخبر ما يصح السكوت عليه»[1]، أمّا الزمخشري فعرّفه في معجم أساس البلاغة بقوله: «خبرت الرجل خبرا وخبرة واستخبرته عن كذا فاخبرني به وخبرني»[2].

1-2- اصطلاحا:

لقد تعددت تعريفات الخبر في المؤلفات العربية، وتباينت أراء العلماء باختلاف وجهة نظرهم، لكن معظم التعريفات تتفق على معيار الصدق والكذب، ومن بين من صرّح بذلك السكّاكي بقوله: «الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب»[3]، أمّا ابن فارس فذهب إلى القول أنّ «الخبر هو ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه»[4]، ونفهم من هذه الأقوال أنّ الخبر إذا كان مطابقا لواقعه الخارجي فانه حتما سيكون صادقا، وأما إن لم يطابق واقعه فهو كاذب أمّا الجاحظ فلم يحصر الخبر في معيار الصدق والكذب، فهو يستبعد انحصار الخبر في الصدق والكذب، ويقرّ أنّ الخبر ثلاث أنواع: صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب، فالخبر

[1]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، ص 84.
[2]- الزّمخشري، أساس البلاغة، ص 229.
[3]- السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 164.
[4]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 133.

الصادق في رأيه هو الذي يكون مطابق للواقع مع الاعتقاد على أنّه مطابق، في حين أنّ الخبر الكاذب هو الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد أنّه غير مطابق، إضافة إلى هذا فالخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب فقد عدّه أربعة أنواع وليس نوع واحد وهي: الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنّه غير مطابق والخبر المطابق للواقع دون اعتقاد أصلا، الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق، الخبر الغير المطابق للواقع دون اعتقاد أصلا[1].

2- أقسام الخبر:

ينقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام وذلك قياسا إلى حالة المخاطب وهي:

2-1- الخبر الابتدائي:

والمقصود به الخبر الذي يوجّه إلى السّامع دون دراية هذا الأخير شيئا عن الخبر، ولا يحتاج إلى تأكيد، لأنّ السّامع خالي الذهن، فإذا «اندفع في الكلام مخبرا لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند والمسند إليه في خبره ذاك، إفادته المخاطب، متعاطيا مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عمّا يلقى إليه، ليحضر طرفاها عنده، ويتنقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الأخر ثبوتا أو انتفاء»[2]، وإذا قال احدهم صلاح الدين مريض وهو في المستشفى، فإنّ المتلقي خالي الذهن ولا يعلم أنّ صلاح الدين مريض.

[1]- ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان، ط 1، 2009، ص 43.
[2]- السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 170.

2-2- الخبر الطلبي:

في هذا القسم يكون المتلقي حائرا ومترددا في قبول الخبر، مما يستلزم من المتكلم استعمال أدوات التوكيد لتأكيد خبره، وإقناع المستمع، لهذا يقول السكّاكي في هذا الشأن «وإذا ألقاها إلى طالب لها، متحير طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين بين، لينقذه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة، أو إنّ.»[1] كقوله تعالى: «إنّ الله يحب المحسنين»[2].

2-3- الخبر الإنكاري:

المقصود به هو ذلك الخبر الذي يوجّه إلى المخاطب، ويقوم هذا الأخير بإنكاره ولا يعترف به، مما يستدعي من المخاطب تأكيد كلامه بأكثر من جملة، وذلك حسب درجة إنكار المستمع ولهذا يقول القزويني: «وإن كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار»[3]، ومثالا على ذلك ما ورد في سورة البقرة «قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هى لونها إنّ البقر تشابه علينا وإنّا إن شاء الله لمهتدون»[4].

والخبر يقوم على دعامتين أساسيتين وهما إفادة السامع خبرا جديدا لم يكن على علم به من قبل الخبر، كأن تقول المعلمة لتلاميذها "غدا ستذهبون في رحلة"، وهم لم يعلموا بذلك والدعامة الثانية هي إفادة السامع بالخبر، وهو على علم به كأن "أقول العطلة غدا ويجيب

[1]- السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 170.
[2]- سورة المائدة، الآية 13.
[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 28.
[4]- سورة البقرة، الآية 69.

السامع أجل"، ويصرح محمود أحمد نحلة في هذا الشأن «أنّ الخبر إذا ألقى إلى من يجهله سمي "فائدة الخبر" وإذا ألقى إلى من لا يجهله سمي "لازم الفائدة"»[1].

3- مؤكدات الخبر:

بعد أن تطرقنا في العنصر السابق إلى أقسام الخبر نجد أنّ المخاطب الذي يُلقي إليه الخبر يكون متردد في قبوله مما يستلزم من المتكلم تأكيده، ويصرح محمود أحمد نحلة في هذا الشأن أنّ الخبر يؤكد لإزالة شك وتردد وإنكار المخاطب له، ويصرح أيضا أنّ لتأكيده وسائل معينة منها ما يدخل علي الجملة الاسمية (إنّ، لام الابتداء، أمّا الشرطية، ضمير الفاصل والباء)، ومنها ما يدخل على الجملة الفعلية (قد، نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة والسين)، إضافة إلى ما يدخل على الجملتين الفعلية والاسمية ومن بينها (القسم، إنْ الزائدة و القصر)[2].

4- الأغراض البلاغية للخبر: إنّ الخبر لا يقتصر على " فائدة الخبر ولازم الفائدة" بل يؤدي أغراض ومعاني مختلفة باختلاف السياقات التي يرد فيها وهي: الفخر والإعجاب المدح، التحسر والحزن وإظهار اللوعة، التوبيخ والتأنيب، الوعظ والإرشاد[3].

[1]- محمود أحمد نحلة، البلاغة العربية علم المعاني، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2002، ص 43.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 45، 46، 47.
[3]- أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، د ط، ص 229، 230.

ثانيا: الإنشاء

1- تعريفه:

أ- لغة: وردت مادة نشأ في معجم أساس البلاغة للزمخشري «نشأ: أنشأ الله تعالى الخلق فنشئوا، " وينشئهم النّشأة الأخرى" ... وإنّه لينشأ لإبل فلان يعينها أو يعرض لها ونشأت في بني فلان، ومولدي ومنشئي فيهم»[1].

ب- اصطلاحا: لقد سبق وأن ذكرنا سابقا أنّ الطلب استعمل بمقابل الإنشاء في المؤلفات العربية، إذ نجد السكّاكي قد استعمل مصطلح الطلب، ويعرفه الشريف الجرجاني «قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، وقد يقال على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي»[2]، أمّا الأزهر الزنّاد فيعرفه بقوله: «يجري مصطلح "الإنشاء" على نوع من الكلام ينشئه صاحبه ابتداء دون أن تكون له حقيقة خارجية يطابقها أو يخالفها فلا يحتمل لذلك الصدق ولا الكذب»[3]، بما يعني أنّ الإنشاء بعيد كل البعد عن معياري الصدق والكذب، وإنّما همه الوحيد هو البحث عن المعاني الخارجية التي تطابق لفظه، أو بمعنى أخر «هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه»[4].

[1]- الزمخشري، أساس البلاغة، ص 268.
[2]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص 35.
[3]- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1992، ص 15.
[4]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص 69.

2- أقسام الإنشاء: ينقسم الإنشاء إلى قسمين: طلبي وغير طلبي

2-1- الإنشاء الطلبي: وهو ذلك الإنشاء الذي يستلزم طلبا غير متوقع، وإن صحّ التعبير هو إنجاز فعل لم يصرح به، «والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل حاصل»[1]، ولهذا يخرج الطلب إلى أغراض مختلفة باختلاف مقاصد المتكلم، «ويكون خاصة في: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، يضاف إليها: العرض، والتخضيض، والدعاء، والالتماس»[2]، وسنركز في تعريف كل من الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

2-1-1- الأمر:

الأمر «هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء»[3]، أي هو طلب القيام بفعل شيء ما ويكون من الأعلى إلى الأدنى، وللأمر أربع صيغ وهي: فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر[4].

- فعل الأمر: كقوله تعالى «قل هو الله أحد»[5].
- المضارع المقترن بلام الأمر: مثل فليعلم الصابر أنّ مثواه الجنة.
- اسم فعل الأمر: عليكم بالصلاة فإنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

[1]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 108.
[2]- محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ط 1، 2003، ص 282.
[3]- محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية علم المعاني، ص 84.
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 84، 85.
[5]- سورة الإخلاص، الآية 1.

- المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى: «وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا»[1].

2-1-2- النهي:

إنّ النهي هو عكس الأمر، فهو طلب الكف عن القيام بشيء ما، وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى تستنبط من خلال سياق الكلام، حيث «إن استعمل على سبيل التضرع، كقول المبتهل إلى الله: لا تكلني إلى نفسي، سمي: دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء، سمي: التماسا، وإن استعمل في حق المستأذن، سمي: إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك، سمي: تهديدا»[2].

2-1-3: الاستفهام:

يراد بالاستفهام الاستفسار عن شيء مجهول وبذلك هو «طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه إنّه طلب خبر ما ليس عندك، أي طلب الفهم»[3]، وقد وُضعت للاستفهام أدوات كثيرة وهي نوعان: الحروف والأسماء.

أ- **الحروف**:يدخل في الحروف كل من الهمزة وهل، حيث «تستعمل الهمزة لطلب التصديق أو التّصور»[4]، مثل (أقرأ عمر؟)، أمّا هل فتستعمل «لطلب التصديق فحسب»[5]، مثل (هل قرأ عمر الكتاب؟

---

[1]- سورة مريم، الآية 32.
[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 320.
[3]- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية الفصاحة- البلاغة- المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، ص 118.
[4]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 108.
[5]- المصدر نفسه، ص 109.

ب- الأسماء:

وهي (ما، منْ، أيُ، كم، كيف، أين، أنّى، متى، أيان)، فهذه الأسماء لا يطلب بها إلّا التصور[1].

- ما: تستعمل لطلب شرح شيء ما، على نحو قولنا: ما التداولية؟
- منْ: تستعمل للسؤال عن الجنس، مثل: منْ جاء معك؟
- أيُ: تستعمل للسؤال عمّا يميز أحد المتشاركين في شيء يجمعهما، مثل: أيُ فريق تشجع؟
- كم: تستعمل للسؤال عن العدد، مثل: كم دينارا عندك؟
- كيف: تستعمل للسؤال عن الحال، مثل: كيف حالك؟
- أين: تستعمل للسؤال عن المكان، مثل: أين تقع الجزائر؟
- متى وأيان: تستعمل للسؤال عن الزمان، مثل: متى تزورني؟

2-1-4: التمني:

يعرفه السكاكي في كتابه مفتاح العلوم بأنّه «طلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه»[2]، أي طلب وقوع أمر نحبه وبذلك يستحيل وقوعه، مثل: ليت الشباب يعود يوما.

[1]-ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية الفصاحة- البلاغة- المعاني، ص 119، 120.
[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 303.

2-1-5- النداء:

إنّ النداء هو دعوة المتكلم المنادى للإقبال، وهذا من خلال استعمال حروف النداء فهناك ما يستعمل للنداء القريب وهي: الهمزة وأيٌّ، ومنها ما يستعمل للنداء البعيد وهي: يا أيا، هيا، وا، هذا[1].

2-2- الإنشاء غير الطلبي: «هو ما لا يراد به طلب شيء، ويشمل أربعة أشياء: التعجب، المدح، الذم، القسم»[2].

2-2-1- التعجب:

يعرفه الشريف الجرجاني في معجم التعريفات بقوله: «انفعال النّفس عمّا خُفي سببه»[3] فالتعجب إذن هو انفعال داخلي يحدث في نفس المتكلم حين يندهش من شيء ما، «وللتعجب شكلان لا يقبلان تقديما ولا تأخيرا في عناصرهما:

- ما+ فعل التعجب+ مكون منصوب (مفعول به).
- أفعل+ بـ+ مكون مجرور (فاعل)»[4].

بمعنى أنّ للتعجب صيغتين وهما: ما أفعله مثل قولنا: ما أعظم شأنك، وأفعل به كقولنا: أعظم بشأنك، فالمتعجب في هذين المثالين هو (الشأن).

---

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية علم المعاني، ص 102.
[2]- أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، ص364.
[3]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص 56.
[4]- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص 139.

2-2-2- المدح والذم:

يستعمل المدح عند استحسان شيء ما، أمّا الذم فيستعمل عند استكراه شيء ما، فالمدح قد عرّفه الشريف الجرجاني في معجم التعريفات بأنّه «هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا»[1]، ومن ألفاظه نجد (نعم، حبذا)، مثل: نعم الإحسان إحسانك، أمّا ألفاظ الذم فهي (بئس، لا حبذا)، مثل: بئس الإحسان إحسانك.

ولا يظهر المدح والذم في أي من الأزمنة الثلاثة، وليس المراد منه الإخبار عن شيء ما وإنّما الغرض من المدح الحكم على جودة شيء ما الحاصلة خارجا، ويقاس الذم لشيء لرداءة حاصلة في الخارج، والدور الذي يلعبه المتكلم في المدح والذم ليس الوصف بالجودة أو الرداءة الواقعتين في الخارج وإنّما هو الاستحسان في المدح والتقبيح في الذم[2].

2-2-3- القسم:

يعرّف القسم بأنّه الحَلْفُ (الحَلِفُ) أو اليمين، ومن حروفه نجد (الواو، الباء، التاء) أمّا أركانه فيتمثل في حروف القسم، مقْسم به ومعناه أن نقسم بشيء عظيم، ومقسم عليه وهو إجابة للقسم[3]، على نحو قولنا: والله إنّ الزكاة صدقة.

[1]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص 173.
[2]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص 121.
[3]- ينظر: أيمن أمين عبد الغني،الكافي في البلاغة، ص 274.

الفصل الثّالث

دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة مريم

تمهيد:

إنّ القرآن الكريم هو الكلام الإلهي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء لهداية النّاس كافة وإرشادهم ونصحهم في اتباع الطريق المستقيم، فأمّا من استجاب لهذا النصح فقد وعده الله تعالى بالجنة، وأمّا من خالف هذا الطريق فيتوعده بعذاب عسير في جهنم، وهذا ما يتضح في قوله تعالى: « ومن يهد الله فهو المهتد ومن يُضلل فلن تجد له لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمّا مأواهم جهنّم كلّما خبت زدناهم سعيرا»[1].

إضافة إلى ذلك فالقرآن الكريم باعتباره نص تأثيري فإنّه لا يفصح عن معانيه الضمنية والتي لا نفهمها إلّا من خلال السياق، وهذا بالتحديد ما يتجسد في نظرية الأفعال الكلامية.

والمغزى من تمهيدنا هذا هو تبيان تقسيمات سيرل للأفعال الكلامية والتي نجد لها صدا في سورة مريم، وعلى هذا الأساس سنقوم بتحليل السورة وفقها، ولكن قبل البدء في ذلك يجب أن نتطرق أولا إلى التعريف بالسورة وما يحيطها من أغراض وقصص.

[1]- سورة الإسراء، الآية 97.

I. وصف المدونة:

1- التعريف بالسورة:

سورة مريم هي السورة التاسعة عشر في ترتيب المصحف الشريف، وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة "فاطر" وقبل سورة "طه"، وعدد آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعا وتسعين، وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمان وتسعين حسب الخلاف الموجود في ذلك[1]، بالإضافة إلى أنّ سورة "مريم" مكية كلّها إلّا آية السجدة فإنّها مدنية وهذه الآية هي الآية (58)[2] ، في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا 58 ﴾، ولقراءة سورة مريم فضل عظيم حيث من قرأها فله عشر حسنات بعدد من كذّب وصدّق بزكريا ويحي ومريم وعيسى وإبراهيم وموسى...، وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدعه[3].

2-أغراض السورة:

لقد وردت أغراض كثيرة في هذه السورة، لكنّ سنقتصر على ذكر البعض منها فقط:

- ❖ دعاء زكريا ربّه أن يهب له ولدا، واستجابة الله لدعائه وتبشيره بولد اسمه يحيى ويظهر الدعاء في الآيتين ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا

[1]- ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، د ط، ج 16، ص 58.
[2]- قاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، ط 2، 2002 ج 2، ص619
[3]- ينظر بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، مكتبة دنديس، ط 1 2001، مجلد6، ص125.

فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا 5 يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا 6) أمّا الاستجابة لذلك فيظهر في الآية (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا 7).

❖ تعجب زكريا من خلق ذلك الولد من أم عاقر وأب شيخ، ويتجلى ذلك في هذه الآية (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا 8).

❖ تعجب مريم من خلق ذلك الولد من امرأة ليست متزوجة ولم ترتكب الفاحشة ويتبين ذلك من خلال هذه الآية (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا 20).

❖ الردّ على اليهود فيما قالوه عن مريم وابنها من قول شنيع، وهذا ما يظهر في هذه الآيات، (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا 30 وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُوَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا 31 وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا 32).

❖ إنكار المشركين ليوم البعث، وهذه الآية ترصد ذلك، (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا 66).

❖ إظهار قدرة الله في خلق البشر, ويتجسد ذلك في هذه الآية (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا 9).

3- القصص الواردة في السورة:

- ❖ قصة مريم وعيسى عليه السلام.
- ❖ قصة زكريا عليه السلام.
- ❖ قصة إبراهيم عليه السلام.
- ❖ قصة موسى عليه السلام.
- ❖ قصة إسماعيل عليه السلام.
- ❖ قصة إدريس عليه السلام.

II. الأفعال الكلامية في سورة مريم وفق تقسيمات سيرل:

1- الطلبيات:

«وهي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه»[1]، أي توجيهه إلى فعل شيء ما، أي لما يفرضه عليه المتكلم، كقوله تعالى: «... فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة »[2], فالله تعالى في هذه الآية يريد أن يوجه أصحاب الكهف لمعرفة كم لبثوا في الكهف.

1- 1- الاستفهام:

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8)	تعجب
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20)	تعجب
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)	إنكار
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا	النصح

[1]- جون سيرل، العقل واللغة والمحتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2006 ص218.
[2]- سورة الكهف، الآية 19.

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42)	
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ	إنكار
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65)	إنكار
وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66)	إنكار البعث
وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73)	تقرير
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77)	تعجب
أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83)	تعجب
أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67)	توبيخ
أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78)	تعجب

يقدم الجدول أعلاه القوة الإنجازية للاستفهام في سورة مريم، والمتكلم لا ينتظر جوابا عن سؤاله، وإنّما يحقق خلف هذا الاستفهام غرضا يخصه، ومن بين الأغراض التي حققها في هذه السورة نجد:

1-1-1- التعجب:

لقد أدى استفهام زكريا في الآية (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)معنى التعجب، فبالرغم من دعائه لله أن يرزقه ولدا، وتلقيه استجابة لذلك إلّا أنّه في نهاية المطاف تعجب واستغرب من ذلك، فكيف لامرأة عاقر وشيخ هرم أن يكون لهما ولد في هذا السن، ولمّا « طلب أولا هو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب»[1].

ونجد التعجب نفسه عند مريم، حينما قالت (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)، فهي استغربت من أين يكون لها ولد وهي ليست متزوجة ولم ترتكب الفاحشة، «ويبدو من سؤالها أنّها لم تكن تتصور حتّى اللحظة وسيلة أخرى ليهبها غلاما إلّا الوسيلة المعهودة بين الذكر والأنثى»[2]، فالملاحظ في هاتين الآيتين استعمال الأداة نفسها وهي "أنّى"، «إذ تستعمل تارة بمعنى "كيف"، ويجب أن يليها الفعل، وتارة تكون بمعنى "من أين"»[3].

[1]- الزمخشري، تفسير الكشاف، تح: خليل مأمون، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2009، ص 632.
[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط1، 1972، ج16، ص2301.
[3]- السيّد جعفر السيّد ياقر الحسيني، أساليب المعاني في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، ط 1، 1428 هـ، ص 75.

وتتواصل سلسلة التعجب لتصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قصّ عليه جبريل قصص الكافرين الذين طغوا، وكفروا، وتغاضوا عن الحقيقة الإلهية، وهذا ما يظهر في الآيتين (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا)، و(أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)، و(أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)، والخلاصة من هذا الاستفهام هو « تعجيب رسوله صلى الله عليه وسلم مما حكته الآيات السالفة عن هؤلاء الكفرة عن تماديهم في الغي وانهماكهم في الضلال، وتصميمهم على الكفر بدون رادع ولا راجز»[1].

1-1-2- الإنكار:

ومن جهة أخرى نجد أنّ الاستفهام في الآية (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)، قد أخذ منحى أخر، لينجز بذلك قوة إنجازيه تتمثل في الإنكار، فقومها «أنكروا أن يكلموا من ليس من شأنه أن يتكلم، وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته»[2]، أي في نظرهم لا يعقل أن يكلموا صبيا حديث الولادة، مما يعني إنكارهم للمعجزة الإلهية.

كما نجد أيضا في الآية (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) استنكار أبو ابراهيم لكره واعتراض إبراهيم على عبادة الأصنام، والاستفهام هنا «إنكارا لتجافي إبراهيم عن عبادة الأصنام»[3].

[1]- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 1، 1946، ج 16 ص 83.
[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 67.
[3]- المصدر نفسه، ص 118.

كما يوحي أيضا الاستفهام في السورة(هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) إلى إنكار ونفي وجود من يعادل الله عز وجل في اسمه وقدرته، «أي لا مسامي لله تعالى، أي ليس من يساميه، أي يضاهيه»[1]، فالله هو الواحد الأحد، ولا يمكن إنكار هذه الحقيقة.

وقد استعمل الإنسان الاستفهام في الآية (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) للتعبير عن إنكاره ليوم البعث بعد الموت، «وهو اعتراض منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى، فأين كان؟ وكيف كان؟ إنّه لم يكن ثم كان، فالبعث أقرب إلى التصور من النّشأة الأولى»[2].

1-1-3- النصح:

كما نجد أيضا الاستفهام في السورة قد استعمل للنصح وهذا ما نجده في الآية (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)، فإبراهيم عليه السلام باستفهامه هذا, أراد أن ينزع الستار عن جهل أبيه الذي يعبد الأصنام الجامدة، والتي لا تفيده في أي شيء، «فتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلى أنّه مخلص له النّصيحة، وألقى إليه حجة فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطئ»[3]، وباستفهامه هذا أراد أن يبين لأبيه الطريق الصالح ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

---

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 143.
[2]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، د ط، ج 5، ص 2317.
[3]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 113.

1-1-4- التقرير:

لقد أدى الاستفهام في الآية (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) معنى التقرير، وهذا الأخير «هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده»[1] مما يعني أنّ الكافرين يريدون القول للمؤمنين أيهم أحسن حال أنحن أم أنتم، «ويقولون عن الذين أمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين حلى صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنّهم "خير مقاما وأحسن ندّيا"»[2] وفي هذا تباهي وتكبر الكافرين على المؤمنين بالرغم من أنّ المؤمنين أفضل منهم.

1-1-5- التوبيخ:

نجد في الآية (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) الله تعالى يرد على الذين ينكرون البعث بتوبيخهم، لأنّه عز وجل «خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشرا سويا من غير شيء، فليعتبر بذلك وليعلم أنّ من أنشأه كذلك لا يعجز عن إحيائه بعد مماته وإيجاده بعد فنائه»[3].

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 1703 .
[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، د ط، ج 3، ص 1174.
[3]- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 73.

1-2- النهي:

يعتبر النهي عنصرا من عناصر الإنشاء الطلبي، «وهو طلب الكف عن شيء على وجه الإلزام والاستعلاء»[1]، بمعنى أنّ المتكلم عندما ينهى المخاطب فإنّه بصدد طلب التخلي عن شيء ما، «وللنهي صورة واحدة, وهي المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية»[2].

وسنذكرها في الجدول أسفله:

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ **أَلَّا تُكَلِّمَ** النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10)	الإرشاد
فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا **أَلَّا تَحْزَنِي** قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24)	التّصبر
يَا أَبَتِ **لَا تَعْبُدِ** الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44)	التحذير
فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84)	التسلية

[1]- أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، ص 336.
[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1-2-1- الإرشاد:

لقد وظّف الله تعالى في الآية (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ **أَلَّا تُكَلِّمَ** النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) فعل النهي والمتمثل في (لا تكلم)، إذ خرج النهي إلى غرض الإرشاد، لأنّ الله جلّ جلاله عندما طلب منه زكريا عليه السلام أن يجعل له علامة لتحقق وعده،وأرشده «أن ينقطع دنيا النّاس ويحيا مع الله ثلاث ليال ينطلق لسانه إذا سبّح ربه ويحتبس إذا كلّم النّاس وهو سوي معافى في جوارحه ولم يصب لسانه عوج ولا آفة»[1].

1-2-2- التّصبر:

وأما في الآية (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا **أَلَّا تَحْزَنِي** قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) نجد فعل النهي (لا تحزني) قد حقق غرضا إنجازيا يتمثل في التّصبر، فمريم عندما جاءها ألام الولادة حزنت وتمنت الموت, فصبّرها عيسى عليه السلام «ويطمئن قلبها ويصلها بربها»[2] ويذكر نعمة الله عليها ليخفف من حزنها، وتجدر الإشارة هنا إلى وجود اختلاف بين المفسرين في قضية "من نادى مريم"، فهناك من قال أنّه عيسى عليه السلام، ومنهم من قال أنّه جبريل عليه السلام[3].

1-2-3- التحذير:

في حين يظهر النهي في الآية (يَا أَبَتِ **لَا تَعْبُدِ** الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) بغرض إنجازي أخر، ليحمل معنى التحذير، لأنّ إبراهيم عليه السلام لم يرتح لأبيه بعبادة الأصنام، مما لزم عليه تحذيره ليكف عن ذلك، لأنّ الشيطان يغره ويبعده عن طاعة

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2303.
[2]- المصدر نفسه، ص 2307.
[3]- ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 635.

الله، «ولا ريب في أنّ المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن تستردّ منه النّعم وينتقم منه»[1]، وإبراهيم عليه السلام من خلال تحذيره لأبيه يبرهن له أنّ الشيطان عاص لله وإتباعه له يعتبر أيضا معصية.

1-2-4- التسلية:

في الآية (**فَلَا تَعْجَلْ** عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) أدى فعل النهي "لا تعجل" قوة إنجازية تتمثل في التسلية، وذلك من خلال طلب الله تعالى من الرسول صلّى الله عليه وسلم بأن لا يضيق صدره على الكافرين، لأنّ أجلهم عند الله قريب، وهو طلب من الأعلى إلى الأدنى وفي هذا «تسلية للرسول صلّى الله عليه وسلم وتهوين للأمر على نفسه»[2].

1-3- الأمر:

نجد الأمر في سورة مريم قد أخذ أغراضا إنجازية مختلفة، ومن بينها: الدعاء، النصح والإرشاد، والتهديد...وغيرها من الأغراض، وهذا الجدول يبين ذلك:

الفعل الإنجازي	الغرض الإنجازي
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا **فَهَبْ** لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)	الدعاء
يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَ**اجْعَلْهُ** رَبِّ رَضِيًّا (6)	الدعاء

[1]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، ج 16 ص97.

[2]- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 83.

قَالَ رَبِّ **اجْعَلْ** لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10)	الدعاء
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ **سَبِّحُوا** بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)	النصح والإرشاد
وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ **فَاعْبُدُوهُ** هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36)	النصح والإرشاد
يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ **فَاتَّبِعْنِي** أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43)	النصح والإرشاد
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ** لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65)	النصح والإرشاد
...فَإِمَّاتَرَيِنَّمِنَالْبَشَرِأَحَدًا**فَقُولِي**إِنِّينَذَرْتُلِلرَّحْمَنِصَوْمًافَلَنْأُكَلِّمَالْيَوْمَإِنْسِيًّا (26)	النصح والإرشاد
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ**اهْجُرْنِي** مَلِيًّا (46)	التهديد
وَ**أَنْذِرْهُمْ** يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39)	التهديد
أَسْمِعْ بِهِمْ وَ**أَبْصِرْ** يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38)	التهديد

يَا يَحْيَى **خُذِ** الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) **قُلْ** مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَ**اذْكُرْ** فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) وَ**اذْكُرْ** فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) وَ**اذْكُرْ** فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) **وَاذْكُرْ** فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَ**اذْكُرْ** فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَ**هُزِّي** إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُوَ**أَوْصَانِي** بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَ**بَرًّا بِوَالِدَتِي** وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32)	طلب من الأعلى إلى الأدنى، أمر حقيقي

فـ**كُلِي** وَ**اشْرَبِي** وَ**قَرِّي** عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)	الإكرام
مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ** فَيَكُونُ (35)	التكوين

1-3-1- الدعاء:

«وهو الطلب على سبيل التضرّع، أي التذلّل والخضوع »[1].

وردت صيغة الأمر بطريقة صريحة في الآية (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا **فَهَبْ** لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) والمتمثل في فعل الأمر (هب)، وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى، أو من المخلوق إلى الخالق، فزكريا عليه السلام لم يقصد أمر الله تعالى، وإنما أمره هذا مفاده الدعاء، ومناجاة ربّه بأن يرزقه ولدا، أي «أعطيني من واسع فظلك وعظيم جودك وعطائك لا بطريق الأسباب العادية ولدا من صلبي»[2]، ويواصل زكريا دعائه في الآية (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَ**اجْعَلْهُ** رَبِّ رَضِيًّا)، وهنا يطلب من ربّه بأن يجعل ذلك الولد صالحا لا جبارا، «ذلك دعاء زكريا لربّه في ضراعة وخفية، والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع الرخي، كلها تتشارك في تصوير مشهد الدعاء»[3].

[1]- السيّد جعفر السيّد ياقر الحسيني، أساليب المعاني في القرآن، ص53.
[2]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 35.
[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2302.

وتأتي البشرى من الله عز وجل لنبيه زكريا عليه السلام بأن يرزقه ولدا، وهذا الأخير يطلب من الله في الآية (قَالَ رَبِّ **اجْعَلْ** لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) بأن يجعل له أية في تحقق بشراه، وقد ظهر في الأمر (اجعل) للدلالة على الدعاء، «فإنّ لهفة زكريا على الطمأنينة تدفع به أن يطلب أية وعلامة على تحقق البشرى فعلا»[1].

1-3-2- النصح والإرشاد:

قال تعالى (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ **سَبِّحُوا** بُكْرَةً وَعَشِيًّا)، جاءت صيغة الأمر في هذه الآية بطريقة صريحة (سبحوا) وغرضه النصح والإرشاد، لأنّ زكريا عليه السلام أراد من قومه أن يتبعوا خطاه في الإيمان وعبادة الله، «ذلك ليعيشوا في مثل الجو الذي يعيش فيه، ليشكروا الله معه على ما أنعم عليه وعليهم من بعده»[2]، لأنّ لا شيء أعظم من التقرب إلى الله.

قال تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ **فَاعْبُدُوهُ** هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)، يؤدي فعل الأمر الصريح (أعبدوه) غرضا إنجازيا يتمثل في النصح والإرشاد، فعيسى عليه السلام بقوله هذا لم يقصد أمر قومه، وإنّما المغزى من ذلك هو نصحهم وإرشادهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، «أي تعميم ربوبية الله تعالى لكل الخلق»[3]، حيث يبين عيسى عليه السلام لقومه الطريق المستقيم، وهذا الطريق لا يستقيم إلّا بعبادة الله وحده لا شريك له.

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القران، ص 2303.
[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 104.

ويظهر أيضا النصح والإرشاد لفعل الأمر (اتبعني) في الآية (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ **فَاتَّبِعْنِي** أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)، فإبراهيم عليه السلام «ينصح أباه الذي لم يتلق هذا العلم، ليتبعه في الطريق الذي هدي إليه»[1]، ويرشده إلى الطريق المستقيم وينصحه بترك عبادة الأصنام، لأنّ ما ينفعه هو عبادة الله فقط.

كما وردت في الآية (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ** لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) صيغتين للأمر تتمثل في كل من (أعبده, واصطبر)، وهو طلب من الأعلى إلى الأدنى، فـ الله عز وجل ينصح الرسول صلى الله عليه وسلم بالمداومة على عبادته والصبر على الأمور الشاقة، أي «وإذا قد علمت أنّه الرّب المسيطر على ما في السموات والأرض وما بينهما القابض على أعنّتهما، فاعبده ودُم على مشاق العبادة وشدائدها، وإياك أن يصدك عنها»[2].

وقوله تعالى: (...فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)، لقد حقق فعل الأمر (قولي) غرضا إنجازيا يتمثل في الإرشاد، فالله عز وجل في هذه الآية لم يقصد أم مريم، وإنّما القصد من ورائه «إرشادا لقطع المراجعة مع من يريد مجادلتها»[3].

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2311.
[2]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 72.
[3]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 90.

1-3-3- التهديد:

قال الله تعالى (وَ**أَنْذِرْهُمْ** يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يظهر الأمر (أنذرهم) في هذه الآية بصيغته الصريحة، وقد أمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بإنذار الكافرين، وهو طلب من الأعلى إلى الأدنى، القصد من هذا الأمر هو تهديدهم وتحذيرهم من عذاب الآخرة.

قال الله تعالى: (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ**اهْجُرْنِي** مَلِيًّا)، لقد ورد الأمر في هذه الآية على لسان والد إبراهيم، وتظهر صيغة الأمر في الفعل (أهجرني)، الذي حقق غرضا إنجازيا يتمثل في التهديد، «وذلك أنّه هدّده بعقوبة أجلة إن لم يقلع عن كفره بآلهتهم، وبعقوبة عاجلة وهي طرده من معاشرته وقطع مكالمته»[1].

قال الله تعالى: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وردت في الآية صيغتين للأمر وهما (أسمع وأبصر)، والمتمعن في هذين الفعلين يجدهما يندرجان ضمن صيغة التعجب (أَفْعِلْ) لكنّه في الحقيقة «غير مستعمل في التعجب بل صادف أن جاء على صورة فعل التعجب، وإنّما هو على أصل وضعه أمر للمخاطب»[2] حيث أدى الفعلين غرض التهديد، وذلك من خلال أمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بتهديد الكفار الذين زعموا أنّ لله ولدا.

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ص 120.
[2]- المصدر نفسه، ص 107.

1-3-4- الأمر الحقيقي:

قال الله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)، لقد أمر الله تعالى يحي عليه السلام بأخذ كتاب التوراة بجد «ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم، لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة»[1]، وهذا الأمر هو طلب حقيقي لأنّه صادر من الأعلى إلى الأدنى على وجه الإلزام.

قال الله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا)، لقد أمر الله تعالى في هذه الآية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن «يجيب هؤلاء المفتخرين بحظوظهم الدنيوية ببيان مآل الفريقين يوم القيامة، وأنّ ما كان للمشركين في الدنيا من المال وسعة الرزق فإنّما ذلك استدراج وإمهال من الله لهم»[2]، وهو طلب من الأعلى إلى الأدنى.

قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)، تتجلى صيغة الأمر في هذه الآية في فعل الأمر (اذكر)، حيث أمر الله عز وجل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يذكر قصة مريم لأُمّتِهِ فيقول «واتل أيّها الرسول في كتاب الله الذي أنزله إليك بالحق قصص مريم بنت عمران حين اعتزلت من أهلها وانفردت عنهم إلى مكان شرقي بيت مقدس لتتخلى للعبادة»[3]، وهو طلب من الأعلى إلى الأدنى على وجه الإلزام.

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2304.
[2]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 77.
[3]- المصدر نفسه، ص41.

قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)، كما أمر الله تعالى أيضا الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر قصة إبراهيم ووصفه بالصّديق.

إضافة إلى أمره في الآيات التالية (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)، و(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) و(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)، وهذا من خلال ذكر صفات الأنبياء، فهو طلب من الأعلى إلى الأدنى، ومن الخالق إلى المخلوق.

قال الله تعالى: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)، يتمثل فعل الأمر في (هزي)، وهو طلب من الأعلى إلى الأدنى.

قال الله تعالى: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُوَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) جاءت صيغة الأمر غير صريحة في الفعل (أوصاني)، والمقصود به أنّ الله عز وجل أمر عيسى عليه السلام بالصلاة والزكاة، وهو طلب من الأعلى الأدنى على وجه الإلزام.

كما جاءت أيضا صيغة الأمر غير صريحة في قوله تعالى: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا)، أي أمر الله تعالى عيسى عليه السلام ببر والدته، ومجمل القول «وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته »[1].

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2308.

1-3-5- الإكرام:

قال الله تعالى (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا), لقد أُمرت مريم القيام بعدة أفعال وهي (كلي، اشربي، قرّي)، والقوة الإنجازية لهذه تتمثل في الإكرام، أي أكرم الله تعالى عليها جميع الخيرات، بمعنى «فكلي من ذلك الرطب واشربي من عصيره وطيبي نفسا وأبعدي عنك الأحزان»[1]، فالله عز وجل لم يتخلى عن مريم، بل أنعم عليها كل ما تحتاجه.

1-3-6- التكوين:

قال الله تعالى (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، خرج فعل الأمر (كن) عن غرضه الأصلي ليؤدي غرضا إنجازيا وهو التكوين وهذه الآية جاءت كرد على النصارى الذين جعلوا من عيسى عليه السلام ابن الله, فالله عز وجل بهذا أسكتهم بقوله: (كن فيكون)، أي «إذا أراد شيئا فإنّما يأمر به فيصير كما يشاء»[2]، مما يعني أنّ الآية تشير إلى أنّ «هذا يقتضي أن تكون أصول الموجودات أبناء لله وإن كان ما تقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين»[3]، وهذا لا يخفى أنّ الله قادر على كل شيء.

[1]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 45.
[2]- المصدر نفسه، ص51.
[3]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 103.

2- الإلزاميات

يحيل هذا النوع من الأفعال إلى معنى التزام المتكلم بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل، ويكون شرط الإخلاص في هذا الالتزام هو القصد، وأمّا عن اتجاه المطابقة لهذه الأفعال فيكون من العالم إلى الكلمات، وخير ما يمثلها نجد أفعال الوعد والوعيد[1].

وقد نال هذا النوع نصيبا في سورة مريم، وسنحاول استخراجها فيما يلي:

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
(فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ 37) (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا 68) (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا 69) (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا 70)	الإنذار
(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ	الوعيد

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 79.

وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا 59) (كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا 79) (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا 80)	
(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا 60) (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا 61) (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا 96)	الوعد
(ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا 72)	الوعد والوعيد
(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآَيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا 77) (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا 78)	العهد

قال تعالى:(فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ 37) في هذه الآية نجد الله عز وجل ينذر الأحزاب المنحرفة عن طاعته والذين جعلوا من عيسى عليه السلام ابنا له، بمصير عظيم، «فإن السياق هنا ينذر الكافرين الذين ينحرفون عن الإيمان بوحدانية الله، ينذرهم بمشهد يوم عظيم تشهده جموع أكبر، وترى ما يحل بالكافرين المنحرفين »[1].

أمّا في الآية (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا 59)، فالله عز وجل يتوعد الأمم التي آتت بعد (آدمونوح وإبراهيم) جزاء بسبب ضلالهم وعبادتهم للأصنام وترك عبادة الله، وحرف سوف هنا «دال على أن لقاءهم الغيّ متكرر في أزمنة المستقبل مبالغة في وعيدهم وتحذيرا لهم من الإصرار على ذلك»[2]، ثم يستثني الله تعالى في الآيتين الموالين (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا 61) فالذين تابوا وتخلوا عن كفرهم، فقد وعدهم بالجنة لذلك فإن «المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بموجب الوعد المحتوم»[3]، ولقد خصّ الله تعالى وعده في هذه الآيتين للذين تابوا وأمنوا وعملوا صالحا.

قال تعالى (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا 68 ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا 69 ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا 70)

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2309.
[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 136.
[3]- الألوسي، روح المعاني، ص 110.

نلتمس في هذه الآيات أنّ الله عز وجل قد أقسم باسمه ونذّر الكافرين بحشرهم مع الشياطين الذين أغروهم في الدنيا باتباع الشهوات وإنكار البعث، «فحشرهم مع الشياطين إنذار لهم بأن مصيرهم هو مصير الشياطين وهو محقق عند الناس كلهم»[1]، ثم يواصل الله عز وجل وعيده في الآية (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا 69)، بأن يكون العذاب بدرجات، حيث «يميز بعضهم عن بعض، فمن كان أشدهم تمردا في كفره، خصّ بعذاب أعظم، فعذاب الضّال المضل فوق عذاب من يضل بالتبع لغيره»[2].

قال تعالى (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا 72)، ففي هذه الآية نجد الله عز وجل يعد المتقين بالنجاة، أما الظالمون فيتوعدهم بالمكوث في جهنم ويحضرهم ماشين على ركبهم أي «زيادة في الارتقاء بالوعيد بأنّهم خالدون في العذاب، فليس ورودهم النّار بمؤقت بأجل»[3].

قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا 77 أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا 78)، تشير هذه الآية إلى قصة خباب بن الإرث مع العاصي بن وائل السهمي، فالأول كان صانع سيوف وقد أسلم، أمّا الثاني فقد صنع سيفا عند خباب وكان دينا وذات مرة جاء الخباب ليتقاضى دينه من العاصي، فقال له هذا الأخير لا أعطي لك دينك حتى تكفر بمحمد، فأجاب خباب لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، فردّ عليه العاصي أأبعث بعد موتي، وقال خباب نعم، ورد العاصي مرة أخرى إذا كان ذلك صحيح فسيكون لي

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 187.
[2]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص75.
[3]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 150.

مالا وولدا، وإن تحقق ذلك فسأعطيك دينك[1]، فهذه الآيتين تحملان في ثناياها غرضا إنجازيا يتمثل في المعاهدة، والتي تفهم من خلال السياق «ومتعلق العهد محذوف يدل عليه السياق»[2].

قال الله تعالى (كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا 79)، يردّ الله عز وجل في هذه الآية على كفر العاصي ابن وائل، ويتوعده بمضاعفة وزيادة عذابه، «فالتهديد إذن والوعيد هو اللائق لتأدب الكافرين السافرين»[3]، ويواصل الله تعالى وعيده في الآية الموالية (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا 80)، أي «نسلبه ما عنده من المال والولد ونأخذه منه أخذ الوارث ما يرث، ويأتينا إذ ذاك فردا لا يصحبه مال ولا ولد مما كان له في الدنيا»[4].

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا 96)، في هذه الآية يعد الله عز وجل المؤمنين الصالحين بغرس المحبة في قلوب المؤمنين جزاء لإيمانهم أي «إن الذين امنوا بالله وصدقوا برسله وبما جاءوهم به من عنده وعملوا به فأحلّوا حلاله وحرموا حرامه، سيجعل لهم الله محبة في قلوب عباده المؤمنين»[5].

[1]- ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 158، 159.
[2]- المصدر نفسه، ص 160.
[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2319.
[4]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 81.
[5]- المصدر نفسه، ص88.

3- الإخباريات

تعدّ الأفعال الإخبارية أو بالأحرى الإثباتية كما يسميها سيرل عنصرا أساسيا في تقسيمه للأفعال الكلامية، وهي التي تختص بنقل المتكلم لأحواله وأخباره من خلال تركيزه على قضية ما، فهي إذن «أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم»[1]، وتكون ذات صبغة صادقة أو كاذبة، وهذا ما يؤكده محمود أحد نحلة بأنّ الغرض منه هو نقل المتكلم ظاهرة من خلال قضية تجعله مسؤولا عمّا يقول، أي تلك الأقوال التي تخبر وتبقى في الصيغة اللغوية، وخاضعة لمعيار الصدق والكذب، وتكون المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم[2].

والجدير بالذكر فإنّ له معاني مباشرة كالوصف والإخبار، ومعاني غير مباشرة كالمدح، والوعد والوعيد، والدعاء، وغيرها من الأغراض، ويعتبر القرآن الكريم الشاهد الأساسي في نقل أخبار الأنبياء وكيفية تبليغهم للرسالات، والأمم التي زالت بزوال العصور، وسنحاول استخراج بعض النماذج فقط في سورة مريم.

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
ذِكْرُ رَحْمَةِرَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2)	الأمر
قَالَ رَبِّ **إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ**	إظهار الضعف

[1]- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع ، ص117.
[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 78.

شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4)	
يَا زَكَرِيَّا **إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى** لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ **سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي** إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47)	الوعد
قَالَتْ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**(18) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ **إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** (44) يَا أَبَتِ **إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ** فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)	التحذير
قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ **وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** (9) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ **أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا** (67)	إظهار القدرة
لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89)	التوبيخ

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ **لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا** (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ **مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** (28)	
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90)	التهويل
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74)	التهديد
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ **إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** (41) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى **إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا** وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ **إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ**	المدح

الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55)	

3-1- الأمر:

قال الله تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَةِرَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا 2)، تحمل هذه الآية غرضا إنجازيا يتمثل في الأمر، لأنّ الأصل في الكلام «هذا ذكر رحمة ربك عبده، وهو بمعنى: اذكر، ويجوز أن يكون "ذكر" أصله مفعولا مطلقا نائبا عن عامله بمعنى الأمر»[1]، والله تعالى يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليجعلها موعظة للنّاس ليتدبروا في قصة زكريا.

3-2- إظهار الضعف:

قال الله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا 4)، يخبر زكريا الله عز وجل في هذه الآية عن الحالة التي وصل إليها من خلال مناجاته لله تعالى، فقد ضعفت عظامه ورأسه اعتلاه الشيب، والخبر هنا يفيد معنى إظهار الضعف، «ووهن العظم واشتعال الرأس شيبا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربّه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه»[2].

[1]- ابن عاشورتفسير التحرير والتنوير ، ص 61.
[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2302.

3-3- الوعد:

قال الله تعالى: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا 7) لقد أخبر الله تعالى نبيه زكريا عليه السلام، بأن يبشره بولد اسمه يحيا لم يسمى أحد مثله وخرج غرض الخبر عن القاعدة المألوفة (لازم الفائدة، وفائدة الخبر)، أو بالأحرى صنع لنفسه غرضا إنجازيا يتمثل في الوعد، وهذه الآية «جواب لندائه عليه السلام ووعد بإجابة دعائه كما يفهمه التعبير بالبشارة دون الإعطاء»[1].

قال الله تعالى: (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا 47)، يخبر إبراهيم عليه السلام أباه بأنه سيطلب من الله تعالى أن يغفر له بسبب كفره، وأن «يهديه الله إلى التوحيد فيغفر له الشرك الماضي»[2]، وهذا الإخبار جاء على صيغة المضارع (أستغفر) للدلالة على الوعد في المستقبل، وما يؤكد الخبر في هذه الآية هو حرف السين.

3-4- التحذير:

قال الله تعالى: (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا 18)، تخبر مريم في هذه الآية الوحي أنّها جعلت الله معاذ لها، وكانت خائفة منه، «فلما رأته فزعت منه وقالت إنّي أستجير بالرحمن منك أن تنال منّي ما حرّم الله عليك إن كنت ذي تقوى»[3]، والقصد من إخبارها هذا هو التحذير، وجاء الخبر مؤكدا بـ إنّ.

[1]- الألوسي، روح المعاني، ص 65.
[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 212.
[3]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 42.

كما ورد أيضا غرض التحذير في الآيتين (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا 44 يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا 45)، حيث يخبر إبراهيم عليه السلام أباه بأنّ الشيطان عاص لله، فلا يجدربه أن يتبعه فإنّ إتباعه سيكون عاص لله أيضا، «وإبراهيم يحذر أباه أن يغضب الله عليه فيعاقبه فيجعله وليا للشيطان وتابعا»[1]، فقد أُكد الخبر بـ إنّ.

3-5- إظهار القدرة:

قال الله تعالى:(قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا 9) يخبر الله تعالى زكريا عليه السلام، بأنّ خلق الولد الذي وعده به بالرّغم من كبر سنه وعقم زوجته ليس صعبا عليه، فقد خلقه ولم يكن موجودا، فخلق الولد له كخلق أدم عليه السلام لأنّ الله عز وجل هو «القادر على خلق الذوات والصفات من العدم المحض يكون أجدر بالقدرة على تبديل الصفات بخلق الولد من الشيخ والشيخة»[2]، وجاء الخبر في هذه الآية للدلالة على إظهار القدرة،لأنّ الله تعالى قادر على كل شيء.

قال الله تعالى: (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا 67)، لقد أدى الخبر في هذه الآية غرضا إنجازيا يتمثل في إظهار القدرة، فإنّ الله عز وجل أنشأ الإنسان سويا من غير شيء، ورغم هذه القدرة الإلهية،إلّا أنّ الإنسان يُنكر البعث، وكيف «يقولوا ذلك ولا يتذكروا حال النشأة الأولى فإنّها أعجب عند الذين يجدون في مداركهم على أحكام

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2312.
[2]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 36.

العادة، فإنّ الإيجاد عن العدم من غير سبق مثال أعجبُ وأدعى إلى الاستبعاد من إعادة موجودات كانت لها أمثلة»[1]، وجاء الخبر مؤكدا بـ أنّ.

3-6- التوبيخ:

قال الله تعالى: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا 89)، يخبر الله تعالى في هذه الأية الكافرين الذين جعلوا لله ولدا، بأنّهم جاءوا بمنكر عظيم، «فهو التفاف لقصد إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد»[2].

قال الله تعالى: (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا 27 يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا 28)، تحمل الآيتان خبرا للمخاطَب (مريم) من قِبل قومها، حيث جاء على صيغة الماضي (أتت، جئتِ، كان)، فمريم عندما أتت بطفلها عيسى عليه السلام أخبرها قومها بأنّها جاءت بأمر فضيع، ونادوها بأخت هارون، فقالوا لها ما كان أبوك سيئا وما كانت أمك زانية، «وقال قومها هذه المقالة توبيخا لها»[3]، وما يؤكد الخبر في هاتين الآيتين (لقد، ما).

3-7- التهويل:

قال الله تعالى: (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا 90) يصور الله تعالى في هذه الأية عظمة شأنه، حيث تكاد السماء تنشق منه لشدة هوله

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 146.
[2]- المصدر نفسه، ص 170.
[3]- نفسه، ص95.

«والكلام جاري على المبالغة في التهويل من فظاعة هذا القول بحيث إنّه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيغّير كيانها»[1]، والخبر في هذه الأية وإن دلّ على شيء إنّما يدل على تهويل المشركين الذين جعلوا لله ولدا.

3-8- التهديد:

قال الله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا 98)، يخبر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأمم السابقة التي أهلكها بسبب كفرهم ومعصيتهم له فهذا الإخبار يراد به تهديد هؤلاء المعاندين، فلمّا «ذكروا بالعناد والمكابرة أتبع بالتعريض بتهديدهم على ذلك بتذكيرهم بالأمم التي أستأصلها الله لجبروتها وتعنّتها لتكون لهم قياسا ومثلا»[2]، لعلهم يجعلوها عبرة لهم ليتراجعوا عن كفرهم وطغيانهم، و"كم" في هذه الآية هي كم الخبرية تفيد التكثير.

قال الله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا74)، يخبر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه قد أهلك أقوام كثيرة أعظم من الكافرين الذين يتفاخرون على المؤمنين كعاد وثمود، «وفي هذا تهديد ووعيد لا يخفى، وكأنّه قِيل فليرتقب هؤلاء، فسيحل بهم مثلما حلّ بمن قبلهم من المثلات»[3].

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 171.
[2]- المصدر نفسه، ص 177.
[3]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 78.

3-9- المدح:

لقد وُرد غرض المدح بكثرة في هذه السورة، ولهذا سنتطرق إلى إبراز بعض النماذج منها فقط.

يتجسد الخبر في قوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا 41)، في صيغة الماضي (كان)، حيث أخبر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفات إبراهيم عليه السلام الذي وصفه بالصّديق، «لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى لا يصده عن ذلك ما قد يكون عذرا للمكلف مثل مبادرته إلى محاوله ذبح ولده حين أمره الله بذلك في وحي الرؤيا»[1]وهذا مدحا من الله تعالى له، وما يؤكد الخبر في هذه الأية (إنّ)، كما مدح الله تعالى موسى عليه السلام في قوله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا 51)، فهو طاهر من الذنوب ومخلص لله في تأدية رسالته، «فيصف موسى بأنّه كان مخلصا استخلصه الله له ومحضه لدعوته، وكان رسولا نبيا»[2]، إضافة إلى هذا فقد أخبر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصفات التي يتحلى بها إسماعيل عليه السلام ويتضح ذلك في قوله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا 54 وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا 55)، فالآيتان تسردان موضع إسماعيل أو خبره بأنّه صادق في وعوده ولا يخلف بها، فلا يعد وعدا إلّا ووفى به، فصدق الوعد محمود وأجره كبير عند الله تعالى، كما أنّ صفة الوعد موجودة عند كل

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 112.
[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2313.

الأنبياء لكنّ ذكر إسماعيل بالخصوص لأنّه هو المشهور به «وعن ابن عباس رضي الله عنه؛ أنّه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة، وناهيك أنّه وعد في نفسه الصبر على الذبح فوفى»[1]، إلى جانب صدق وعده نجده أيضا يأمر أهله بالصلاة والزكاة.

[1]- الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 639.

4- التعبيريات

وهو التعبير عمّا يلج في نفسية المتكلم، «وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوفر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات»[1] ويصرح جورج يول في هذا الشأن أنّها «تعبير عن حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل الجمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عمّا هو محبوب أو ممقوت»[2] مما يعني أنّ المكبوتات النفسية للإنسان تساعده على التعبير عن ما يشعر به، وسنحاول رصد بعض الأمثلة الدّالة على هذا النوع في هذه السورة.

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا 18) (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا 45) (...إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا 58)	الخوف

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80.
[2]- جورج يول، التداولية، ص 90.

(وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)	
(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا 23)	الحزن
(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا 46)	الغضب

4-1- الخوف:

قال الله تعالى: (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا 18)، تدل الحالة النفسية لمريم في هذه الآية على الخوف، لأنّها كانت خائفة عندما رأت الوحي، «فلما رأته فزعت منه وقالت إنّي أستجير بالرحمن منك أن تنال منّي ما حرّم الله عليك إن كنت ذا تقوى له»[1] لأنّها حسبته بشرا يريد أن يكشفها.

قال الله تعالى: (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا 45)، لقد خاف إبراهيم عليه السلام أن يتلقى والده عذابا من الله بسبب كفره ومعصيته، «أي

[1]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 42.

يا أبي إنّي أخاف لمحبتي لك، وغيرتي عليك، أن يصيبك عذاب من الرحمن على شركك وعصيانك»[1].

قال الله تعالى: (...إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا 58)، يصور الله تعالى في هذه الآية الحالة النفسية للنّبيين وذريتهم الذين إذ سمعوا آيات القرآن تتلى عليهم سجدوا وبكوا من شدة الخشوع، «والمراد به البكاء الناشئ عن انفعال النّفس انفعالا مختلطا من التعظيم والخوف»[2]وهذا دليل على خضوعهم لأمر الله.

قال الله تعالى: (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)، يتبين لنا من خلال هذه الأية أنّ زكريا عليه السلام قد خاف بأن لا يكون له وريث يرثه بعد موته، والوراثة هنا لا يقصد المال وإنّما يقصد الدعوة (إبلاغ الرسالة)، «إنّه يخشى من بعده، يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه، وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها»[3].

4-2- الحزن:

قال الله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا 23)، تدل الحالة النفسية لمريم في هذه الآية على الحزن، فعندما جاءها ألام الولادة تمنت الموت قبل أن تعيش هذا اليوم، «فهي في حالة من الحزن ترى أنّ الموت

[1]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 57.
[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 133.
[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2302.

أهون عليها من الوقوع فيها»[1]، وبالرغم من أنّ ولادتها لعيسى عليه السلام معجزة إلهية إلّا أنّها حزنت وخافت من ردة قومها.

4-3- الغضب:

عندما دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى التوحيد، لم يكترث هذا الأخير لذلك فردّ عليه بالضد فهدده بأن يرجمه، وطلب منه أن يهجره، وهذا ما يظهره في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا 46﴾، «وقد قابل الأب رفق الابن بالعنف، فلم يقل يا بني كما قال الابن يا أبت، وقابل وعظه بالسفاهة»[2]، مما يعني أنّ الفعل التعبيري في هذه الآية يتمثل في غضب والد إبراهيم.

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 85.
[2]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 57.

5- الإعلانيات

وهو الإعلان عن حدوث ظاهرة ما، وينبغي أن يكون إعلانا ناجحا ليحقق الغرض المنشود إليه لكي يطابق العالم الخارجي، وهذه المطابقة قد تكون من الكلمات إلى العالم أو من العالم إلى الكلمات، وتجعل الإعلانات المتكلم يغير العالم عبر الكلمات[1].

لم يحض هذا النوع بنصيب في سورة مريم إلّا القليل، وهذا الجدول يبين ذلك:

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)	إعلان إبراهيم اعتزاله عن قومه
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19)	إعلان الوحي عن إيهاب الولد لمريم
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)	إعلان عن نبوة عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا 48)، عندما نصح إبراهيم عليه السلام أباه بأن يترك عبادة الأصنام ويتجه إلى

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80.

عباده الله ردّ عليه أبوه بأسلوب قاس ذلك من خلال تهديده وأمره بهجرانه، إذ نجد إبراهيم عليه السلام يلبي دعوة أبيه ويعلن اعتزاله عنه وعن قومه، «وزاد على الإعلان باعتزال أصنامهم الإعلان بأنّه يدعو الله احتراسا من أن يحسبوا أنّه نوى مجرد اعتزال عبادة أصنامهم فربّما اقتنعوا بإمساكه عنهم، ولذا بيّن لهم أنّه بعكس ذلك يدعو الله الذي لا يعبدونه»[1].

قال الله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا 19)، عندما خافت مريم من الوحي «فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل عندها من الخوف على نفسها: لست ممن تظنين، ولا يقع منّي ما تتوهمين من الشر، ولكنّي رسول ربّك بعثني إليك، لأهب لكي غلاما طاهرا مبرأ من العيوب»[2]، وفي هذا إعلان من جبريل عليه السلام، بأنّها سترزق بغلام.

قال الله تعالى: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا 30)، جاءت هذه الآية لردّ على استنكار قوم مريم بما جاءت به ووبخوها على ذلك، مما جعل عيسى عليه السلام يردّ عليهم وهو في المهد، فقال لهم أنا عبد الله اختارني لأكون نبيا وسينزل عليّا كتاب الإنجيل، «وهكذا يعلن عيسى- عليه السلام- عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو إلها كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 123.
[2]- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 42.

فرقة.. ويعلن أنّ الله جعله نبيا، لا ولدا ولا شريكا»[1]، وبهذا الإعلان أسكت قومه وردّ الاعتبار لأمه.

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2308.

خاتمة

تقوم التداولية بدراسة اللغة في علاقتها بمفسريها هذا من جهة، ومن جهة أخرى تهتم بالعملية التواصلية وفقا لما يقتضيه السياق التبليغي، وعليه فإنّها ترتكز على العموم بدراسة الأفعال الكلامية، وهذه الأخيرة تعدّ الركيزة الأساسية في التحليل التداولي وبالتحديد عند الغرب والعرب، فالأول يتمثل في إسهامات أوستين وسيرل، أمّا الثاني فنجده ينصب في نظرية الخبر والإنشاء.

وفي ضوء ما سبق قد أفرز بحثنا المتواضع على مجموعة من النتائج يمكن ذكرها في النقاط التالية:

- ❖ التداولية فكر لغوي حديث جاءت للرد على المبادئ التي وضعتها البنيوية.
- ❖ إنّ اتساع مجال التداولية والتقاءها مع العديد من العلوم جعل علماء اللغة بأن لا يقتصروا على تعريف واحد للتداولية.
- ❖ إنّ السياق يلعب دور جدّ هام في إبراز مقاصد المتكلم.
- ❖ تعدّ نظرية الأفعال الكلامية مبحثا أساسيا من مباحث التداولية، لأنّه الانطلاقة الأولى لها.
- ❖ إنّ الفعل الكلامي يحمل غرضا إنجازيا يُفهم من خلال سياق الكلام.
- ❖ يعدّ أوستين أول من أرسى معالم التداولية، وأتى سيرل بتعديلات جديدة لتطويرها.

- ❖ إنّ العلماء العرب القدامى سبقوا المعاصرين في دراسة صيغ الأساليب الكلامية.
- ❖ تتجسد نظرية الأفعال الكلامية في نظرية الخبر والإنشاء عند العرب.
- ❖ إنّ سورة مريم جاءت للردّ على المشركين للذين جعلوا لله ولدا.
- ❖ يتمازج أسلوب السورة بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي.
- ❖ تنوعت الأفعال الكلامية في سورة مريم، إذ تعدّ الأفعال الطلبية والأفعال الإخبارية الأكثر حضورا.
- ❖ إنّ الآيات القرآنية ترد بأسلوب ما، لكنّنا نفهم من ورائه معاني ضمنية مختلفة، وهذا ما يعرف بالأفعال المباشرة وغير المباشرة عند سيرل.
- ❖ تنوع الأغراض الإنجازية لكل من الإخباريات والطلبيات.

وفي الأخير نرجو أنّنا وفقنا في الإحاطة بهذا الموضوع ولو بالقليل، ويبقى المجال مفتوحا لمن يريد البحث والتوسع في هذا الموضوع.

والحمد لله الذي أنعم علينا القراءة وأمر رسوله بها في قوله: " اقرأ باسم ربّك الذي خلق".

قائمة المصادر والمراجع

I. المصادر:

أ- المصادر العربية:

-القرآن الكريم برواية ورش.

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط3، 1994.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، د ط، الجزء 3.

3- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الجزء 16، د ط 1984.

4- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997.

5- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983.

6- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الجزء 5، ط 1، 1946.

7- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرأن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء 16، د ط.

8- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القران، تحقيق مركز الدراسات القرانية، الجزء 5، د ط.

9- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003.

10- الزمخشري: - أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1998.

11- - تفسير الكشاف، تحقيق خليل مأمون، دار المعرفة، لبنان، ط 3، 2009.

12- سيد قطب، في ظلال القرأن، دار الشروق، الجزء 16، ط 1، 1972.

13- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د ط.

14- مقاتل ابن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، الجزء 2، ط 2 ، 2002.

ب- المصادر الأجنبية المترجمة:

1- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 1991.

2- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ترجمة: سعيد الغانمي منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2006.

3- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، د ط 1985.

II. المراجع:

أ- المراجع العربية:

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2006.

2- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، وكالة المطبوعات الكويت، ط 1.

3- الأزهر الزّناد، دروس في البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة)، المركز الثقافي العربي بيروت، ط 1، 1992.

4- أيمن أمين عبد الغاني، الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، د ط.

5- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010.

6- بهجة عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز مكتبة دنديس، المجلد 6، ط 1، 2001.

7- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009.

8- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، الأدرن ط 1، 2007.

9- السيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب المعاني في القرأن، مؤسسة بوستان كتاب، ط 1، 1428ق.

10- صابر حباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار، سوريا، ط 1، 2010.

11- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، لبنان ط 1، 1993.

12- طه عبد الرحمن: - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998.

13- - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000.

14- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان، ط 1، 2009.

15- عبد الله صولة، الحجاج في القرأن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي بيروت، ط 1، 2001.

16- - في نظرية الحجاج -دراسات وتطبيقات-، ميسكيلياني، تونس، ط 1 2011.

17- علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة) مكتبة الأداب، القاهرة، ط 1، 2010.

18- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2011.

19- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004.

20- محمود أحمد نحلة: - أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2002.

21- - في البلاغة العربية علم المعاني، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2002.

22- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية (التداولية) المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، مصر، ط 1، 2002.

23- محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ط 1، 2003.

24- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2005.

25- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط 1، 2013.

26- الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004.

ب- المراجع المترجمة:

1- ان روبول وجاك موشلار: - التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2002.

2- - القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين في الجامعات التونسية، دار سيناترا، تونس، د ط.

3- جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1 2010.

4- جوستن هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، ترجمة: سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، مصر، ط 1، 2012.

5- جيني توماس، المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ترجمة: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء، الرياض، ط 1، 2010.

6- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، د ط، 1986.

7- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ط 1، 2007.

ج- المقالات والدوريات:

1- خديجة بوخنشة، محاضرات في اللسانيات التداولية.

الفهرس

الفهرس

مقدمة .....أ- ج

الفصل الأوّل: التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى ومحاورها 8- 32

المبحث الأوّل: التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى 8- 16

1- مفهوم التداولية (لغة واصطلاحا 8

2-علاقة التداولية بالعلوم الأخرى.....13

المبحث الثّاني: محاور التداولية..... 17- 32

1- الإشاريات.....17

2- الافتراض المسبق 21

3- الاستلزام الحواري.....24

4- الحجاج.....29

5- أفعال الكلام.....32

الفصل الثّاني: نظرية الأفعال الكلامية 34- 59

المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام عند الغرب..... 34- 47

أولا- أفعال الكلام عند أوستين.....34

ثانيا- أفعال الكلام عند سيرل 40

المبحث الثّاني: نظرية أفعال الكلام عند العرب 48- 59

أولا- الخبر 50

ثانيا- الإنشاء 54

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة مريم..... 61- 104

أولا- وصف المدونة..... 62

ثانيا- الأفعال الكلامية في سورة مريم (وفق تقسيمات سيرل 65

1- الطلبيات..... 65

2- الإلزاميات..... 83

3- الإخباريات..... 88

4- التعبيريات 98

5- الإعلانيات..... 102

خاتمة..... 106

قائمة المصادر والمراجع..... 109

الفهرس 116

الملحق: سورة مريم